كتاب

﴿ الرحلة الحجازية ﴾

« لمؤلفها »

(محمد بن سليم الشهابي المخزومي)

المدني وطناً

طبع فى الاسكندرية بالمطبعة التجارية سنة ١٣١٧ هجرية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذه الرحلة الحجازية المعربة عما اطلعت عليه من الممالك الاسلامية والممالك الاجنبية المسيحية لمؤلفها الفقير اليه تعالى المقر بالعجز والتقصير محمد بن سليم بن سليمان بن سليم بن محمد بن عبد بن عوده بن عامر بن عوده بن عامر بن علي الجامع بن سليمان بن يوسف بن علي بن مقبل بن يوسف بن محمد بن واصل بن علي بن محمد بن كامل بن مقبل بن احمد بن واصل اول من اتى الى الينبع كان في سنة خمسمائة وسبعة وتسعين صاحب الشرطة في مكة وقت امارة الشريف مكثر بن عيسى ابو فليته اخر دولة الهاشميين وكان بلغ امير ينبع النخل سيدنا الشريف قتاده بعض ظلم الشريف ابو فليته وتعسفه لاهل الحرم فغزاه سنة خمسمائة وثمانية وتسعين ودخل مكة على حين غفلة وملكها فهرب اميرها الشريف ابو فليته الى اليمن فاستلم سيدنا قتاده زمام مكة ورتب القاضي والعمال على ما ينبغي وابقى واصل المخزومي امير شرطتها على ما هو عليه لما بلغه عنه من اهل مكة من العدل والانصاف وقد فرح بزوال امارة الشريف ابو فليته المذكور لما يعلم من ظلمه وجمع واصل قبيلة بن مخزوم في مساكنهم جياد بن جياد الاكبر وجياد الاصغر وبعد ذلك اقام سيدنا قتاده ولده الشريف وكيلاً عنه على امارة مكة وتوجه

الى اليمن حتى وصل الى صنعا وملكها ورتب الامراء والقضاة والعمال ورجع الى مكة منصوراً واقام فيها وقتاً من الزمن ثم اخذ صاحب الشرطة واصل المخزومي حتى وصل بدراً فاقامه على بدر وتوجه الى المدينة المنوره فملكها وكان حينئذٍ امراؤها اشراف الموسويه فاقامهم وجعل من طرفه اميراً من اشراف بني حسين اهل المدينة ورتب قاضياً وعمالاً ورجع الى ينبع النخل فوجد فيها فتنة قد حدثت بعده في السويق فارسل واحضر واصل المخزومي من بدر لما يعلم منه انه بطلاً شجاعاً وارسله مع جيش لحسم تلك الفتنة فتوجه واصل حيث امره الامير قتاده حتى تم الصلح على يديه فاقتطع له الامير قتاده قطعة من نخيل في السويق من عين حسين من الشريعه الى مسجد المنفعه وكان الشريف قتاده يسمي واصل شهاب الحرب فواصل المذكور سمي ما اقتطع له الامير بدبل شهاب واوقفه على ذريته الذكور دون الاناث والى الان باقي منافع الوقف المذكور على ذريته وبهذا سمي الشهابي واللقب غالب على الاسم ولما منَّ الله عليَّ وهاجرت الى المدينة المنوره سنة الف ومايتين وثمانية وسبعين وفتح الله عليَّ فيها عملت هذا الاعتراض فمن قال غير ذلك من ارباب الغايات والحساد فكلامهم مردود عليهم كقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله الآيه ٠ والحديث الشريف ما معناه اتقوا ثم الاعين فان كل ذي نعمة محسود او

كما قال وقالت العرب الحسود لا يسود ولو بلغ الغاية في مناه
وقال الشاعر بيتين

ليس يخلو المرء من ضد وان حاول العزلة في رأس الجبل
ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمولانا الكريم الخلاق من قضى على عباده بالفراق والتلاق وقدر الاسباب والاوقات والارزاق وصلاةً وسلاماً على من انزل عليه في الكتاب المسطور في الرق المنشور فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وعلى آله واصحابه نجوم الهداية لكل فريق ومصابيح الرشاد للسالكين اقوام الطريق اما بعد فقد توجهت عزيمة العبد الفقير الى الله تعالى للسياحة لاجل الاطلاع على عجائب المخلوقات في كل جهة من الجهات والاجتماع باهل الوجاهات والسماحات وسنح لخاطري الاهتمام بهذه الرحلة مع الكلفة لما انا عليه من الجمود والعجز والتقصير وقصر الباع عن نوال الحظ الخطير وذلك لما بيني وبين الاخوان ومعاشر الخلان من قديم المردة والالفة وناهيك بمكابدة ألم الفراق المحبين والعشاق خصوصاً فراق المدينة المنوره ذات المآثر

المأثورة والفضائل المشهورة فان فراقها في الحقيقة اثار في احشائي نار الاشجان واجرى دموعي على خدي كفرائد العقيان لكن بهذا حكم القضاء والقدر الذي ليس للعبد عنه محيصاً ولا مفر وبينما انا في اقدام واحجام ومحاولة هذا المرام اذ عن لخاطري ان اصف المدينة المنوره وبعض اثارها تبركاً بها فاقول وبالله التوفيق

« باب »

(في محاسن ذكر المدينة المنورة)

المدينة المنورة مسورة بسورين منقسمة الى قسمين وفي القسم الثاني المناخة وهي ميدان كبير مناخ للزوار القسم الاول هو الذي فيه الحرم الشريف وسوره ايجاد السلطان سليمان مساحته اربعة الاف ذراعاً وعرضه ثلاثة اذرع ونصف وارتفاعه سبعة عشر ذراع وابوابه خمسة باب المصري وهو الموصل من الحرم الى المناخة في القسم الثاني وباب الصغير المتصل بالحكومة وباب الشامي وفي جانبه ضريح سيدنا محمد صاحب النفس الزكية وقبة السبق وموصل على نصف ساعة الى سيدنا حمزه عم النبي صلى الله عليه وسلم في سفح جبل احد الذي قيل في حقه جبل يحبنا ونحبه وبابه شهداء احد ولأهل المدينة عادة يزورونه في كل ليلة خميس ولهم اجتماعات في ليلة النصف من شوال وفي ليلة اثنى عشر من رجب له زيارة عظيمة

في كل سنة تستمر ثلاثة ايام بلياليها فيأتون اليه الزوار من مكة المكرمة ومن الطايف ومن جده ومن ينبع ومن قبائل العربان جميعاً ولها شأنٌ عظيم وفي جانب جبل احد الغربي يدوف عن اربعين عيناً ساهرة تسقي نخيلاً ورمان وخضار متصلة بالغابة وباب الجمعة متصلاً بصيران فيها منتزهات لاهل المدينة واقرب ما يكون للباب والحرم بستان فيه نخيلات من اجمل نخل المدينة وبعض اشجار وبعض زهورات وفيه ايوان ومقابله ديوان وقدامها حوض عشر في عشر يصب فيه ميزاب من المآء من بأر واذا امتلا الحوض يسقي منه البستان وهذا البستان منتزه لصديق لنا العالم الفاضل الاديب الكامل صاحب السعادة والاقبال عبد الجليل افندي براده المدني متعنا الله واياه بنعمة دائمة وباب البقيع والبقيع مدفن موتى اهل المدينة وفيه سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا العباس وابناء النبي وزوجاته وسيدنا مالك بن سنان وسيدنا مالك امام المذهب وكثيراً من الشهدآء واهل البيت وكل من مات من اهل المدينة يدفن فيه رضي الله عنهم اجمعين ومن هذا الباب يوصل الى محل المائده بين نخيل تسمى الصيران ومنها ايضاً يخرجون الى زيارة ضريح سيدنا عليٍّ العريض في الحرة مسافة ثلاثة ارباع الساعة ويلي باب الشامي قلعة عظيمة ببابين من الحديد هي والسور المتقدم ذكره ايجاد السلطان سليمان وتجديد الحرم الشريف مع قبب على قبور السادة والصحابة وتجديد محراب في الحرم

على يمين المحراب النبوي مع تجديد المنبر وغيره من المآثر انفق عليها الف الف دينار ذهبي وهذا شكله بالرقم الهندي (٧٠٠٠٠٠٠) كما ذكره السيد محمد بن السيد حسن السمرقندي وقد جدد الحرم الشريف ثانياً السلطان عبد المجيد فامر ببنائه كله بقبب مركبة على عواميد من الحجر الاحمر وفي الاخر فسحة كبيرة مفروشة بالرمل وفي جانبها بستان صغير فيه اربع نخلات وقليلاً من الاشجار والازهار يسمى ببستان سيدتنا فاطمة الزهراء وفي جدار الحرم القبلي محراب سيدنا عثمان بن عفان ترى المحراب والجدار ملبساً بالزلج الملوّن وعلى الجدار والقبب ايات قرآنية واحاديث نبوية والبردة والهمزية مكتوبة كلها بالذهب الوهاج وارض الحرم مفروشة بالرخام والحجر الأسود وفيها الروضة المطهرة بين منبره وبين الباب الذي كان يخرج منه الى الصلاة من بيت سيدتنا عايشة رضى الله عنها وحد الروضة محرابه ومنبره صلى الله عليه وسلم وفي جهة الروضة من الشرق القبة الخضراء ايجاد احد السلاطين وهي التي فيها ضريح النبي صلى الله عليه وسلم ويليه ضريح سيد ابي بكر رضى الله عنه ويليه ضريح سيدنا عمر رضي الله عنه وفي جانب القبة الشرقي مهبط جبريل عليه السلام ويليه حجرة سيدتنا فاطمة الزهراء وللقبة اربعة ابواب باب المواجهة محل وقوف الزوار الذي كان في زمانه صلى عليه وسلم يخرج منه الى الوفود وفي اعلى الباب بيتان مكتوبان بالخط الكبير وهما

يا خير من دفنت في الترب اعظمه

فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومضى على هذا الباب اعوام كثيرة وهو مغلوقاً وباب الروضة الذي كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم الى الصلوة اسمه باب التوبة والباب الشامي مقابل دكة الاغوات يخرج منه الشمع والقناديل خصوصاً في رمضان وباب الشرقي باب ستنا فاطمه الزهراء وداخل القبة الشريفة ذخائر منها الكوكب الدري معلقاً على سمت الرأس الشريف النبوي وهي جوهرة كبيرة غالية الثمن وحولها جواهر من الالماس الثمين ومكانس من اللؤلؤ الفاخر الثمين وامام القبر الشريف كل ليلة يوقد عشر شمعدانات من الذهب الوهاج وعلى قطر الرأس الشريف شمعدانان ذهباً مرصعان بالالماس قيمتهما خمسون الف جنيهاً اعني ليرة عثمانية اهداهم السلطان عبد المجيد الى الحجرة وقت ما بشروه بتمام عمارة المسجد وكذلك من المعلقات جملة قناديل سلاسلها من الذهب الوهاج وفيها مصحف سيدنا عثمان بن عفان وبعض الذخائر التي تهدى من الجهات وفي الحرم الشريف قناديل ومصابيح اخرى سلاسلها من الفضة الخالصة وثريات كبار وصغار ووسط كثيرة معلقة وكلها تنوّر من المغرب الى بعد العشاء

ومن الفجر الاول الى طلوع الشمس وللحرم مخصوصاً من القديم اربعون اغا خدمة يبيت منهم في كل ليلة في الحرم ثمانية بالنوبة وكبيرهم شيخ الحرم والحرم مفروش بسجاجيد مفتخرة وله خمسة ابواب باب سيدنا جبرائيل وباب النساء وباب المجيدي وباب الرحمة وباب السلام وله خمسة منائر شاهقات ويلي الحرم شرقاً ضريح سيدنا ابي شجاع وبعده قرب السور ضريح سيدنا اسماعيل وعن شمال الحرم وغربيه ضريح سيدنا عبدالله والد سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام وقريب منــه سيدنا مالك بيرق دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين اما بعد فالقسم الثاني سوره مساحة ثلاثة الاف وخمسمائة ذراع وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ستة اذرع وفيه اربعة ابواب باب وفود جهينة المسمى الان بباب الكومة شاماً يخرج الى الجرف الذي فيه بئر سيدنا عثمان ومقابلة حرة صغيرة فيها اثار جامع فيه محرابان يسمى القبلتين الذي تحوّل فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى جهة الكعبة وهو في صلوته بعد ما كان يصلي الى جهة بيت المقدس حين نزل عليه قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الاية ومن جانبه سيل العقيق يسقي العيون ويصب في الغابة يجتمع مع سيل سيدنا حمزة وسيل ابو جيده ويفيض الجميع في واد الحمض وغرباً باب العنبرية المسمى الان بباب الحميدي الذي يقدم منه

الزوار والقوافل بالارزاق وبعد ساعتين آبار سيدنا علي التي
تسمى الان الحسا يحرم منها اهل المدينة والوافدين اليها واكثر
خضر المدينة تزرع هناك والعنبرية شارع فيها قشلة للدولة تسع
اربعة الاف جندياً ومقابلها شاماً تكية انشأها محمد علي باشا
والي مصر سنة ١٢٥٠ في كل يوم يقسم منها على الفقراء شوربة
وعيش اعني خبز وفي ليلة الجمعة يطبخون للفقراء فيها ارز
ولحم ولبعض اهل المدينة فيها مرتبات نقدية والى الان ما اختل
شيء منها وهي جارية جزى الله المحسنين خير الجزاء ثم تمشي
في العنبرية حتى تصل جسراً وهو على السيل الذي يشق
الثاني من المدينة من الاول الى الاخر يدخل من الجنوب ويمشي
الى الشمال ويسمى سيل ابو جيده وبعد قبا بنصف ساعة بناه سيدنا
عمر بن الخطاب جسراً جيداً لاجل ان يمنع السيل الى الوراء ولا
يفيض الا شيئاً قليلاً لا يخرب بيوت المدينة والى الان الجسر
المذكور باقي عمار ثم تخرج من باب قبا جنوباً وقبا بساتيناً من
نخيل واثمار متنوعة تسقى من ابار منها البئر الذي سقط فيه
خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لاجل ظهور المعجزة في زمن
الازرق عامل المدينة في وقت سيدنا معاوية رضى الله عنه فالازرق
اشترى الف عبداً وسحب الماء من هذا البئر الى المدينة المنورة
ويصب في هذا البئر ماء مثل الميزاب من الحره زيادة على ما
فيه من الماء وهو ماء عذب ولهذا سميت بالعين الزرقا وفي قبا

المسجد الذي نزل في حقه لمسجد اسس على التقوى الاية وقبا مسافة نصف ساعة والرابع باب العوالي شرقا وهو نخيل واشجار وبعض اثمار وخضار يسقى من ابار ويليه قربان وهو نخيل واشجار واثمار وازهار يسقى من ابار وكل الثلاثة القرابة عذبة الماء طيبة الهواء وفي المناخة مسجد النبي المسمى بالمصلى الذي ظللت عليه فيه الغمامة ويقابله في الجهة الشامية مسجد سيدنا ابا بكر وبجانبه مسجد سيدنا علي ويليهم في القامة مسجد سيدنا عثمان بن عفان ويلي المصلى قبـلة مسجد سيدنا عمر ويليه مسجد سيدنا بلال قريبا داخل الخمسة خانة الى هنا انتهى الكلام على القسم الثاني وسكان المدينة المنورة وما يتبعها قريبا منها يبلغ عددهم ستين الفا وفيها العلماء والادباء والشعراء وفيها من الاثار الجيدة والمزايا الحميدة ما لا يستقصى فلا غرو اذا قصر اللسان عن ذكر مآثرها ووقف اليراع عن استقراء اثارها وها انا اكتفيت بما اتيت واقتصرت على ما ذكرت اذ هنا يقصر المتطاول ويعجز المقتدر وصلى الله على سيدنا محمد

« باب »

(في ذكر مكة المكرمة والكعبة المشرفة واوصافهما)

وحيث انا توجنا هذه الرحلة باوصاف المدينة المنورة ومآثرها احببنا ان نطوقها ونحليها باوصاف مكة المكرمة والكعبة المعظمة المشرفة حيث انه سبق لي التوجه اليها في معية صاحب الدولة والسيادة امير مكة المكرمة المرحوم الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧ وجماني

مدير دائرة الامارة الجليلة واما مكة المكرمة التي قيل فيها
لا يعضد شجرها ولا يختلا خلاها فحدودها من جهة الشام السيدة
مامونة ويسمى في القديم العمرة القديمة ويمنا جنوبا يلملم
وشرقا ذو قرن وغربا الشميسي ومكة المكرمة في وادي وشعوب
بين جبلين يسميان الاخشبين طرفها من جهة الشام حارة جرول
وفيها بئر طوى الذي يستفيض منه الحجاج لدخول مكة وهو
مأثور وهناك انشاء مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد في
قرب جرول خمسة خانه بأربعة أبواب ثلاث طبقات تسع عشرة
الاف نسمة بنائها من الحجر الاصم والآجور الرومي وسقوفها من
حديد وهي في غاية الاتقان وانشاء هناك شامي جرول سيدنا
دولتلو سيادتلو امير مكة الحالي الشريف عون الرفيق باشا بستانا
يسقى من عين زبيده مغروس فيه الاشجار الغريبة والاثمار الطيبة
والازهار الوردية المختلفة الروائح النفيسة منتزها له ومن جرول
الى حارة الباب ومنها الى حارة الشبيكة ومنها الى حارة المسفلة
وآخرها بركة ماجد يصب فيها فائض ماء عين زبيده وهناك
انشأ الشريف عبدالله باشا امير مكة سابقا بستانا يشتمل على نخيل
واشجار وخضار ومنها يرجع الى السوق الصغير وهو حد الحرم
من الجانب الغربي ومن الجانب الشامي حارة الشاميه ويليها
حارة القراره وبينها وبين الحرم سوق كبير يباع فيه البز الغالي
والعطورات من المسك والعنبر والزباد والعود وغير ذلك وفي

وسط حارة القرارة دار الامارة بستة ابواب بينها ميدان عظيم
انشأها سيدنا المرحوم امير مكة سابقاً الشريف غالب وزاد في
بنائها صاحب الدولة والسيادة سيدنا المرحوم امير مكة سابقاً الشريف
عبد المطلب وكان في الميدان المذكور تسطح النوبة ضحاً وعصراً
وبعد العشاء وعن يمين الحرم وجنوبه شعبان جياد الاكبر وجياد
الاصغر منازل بني مخزوم وهنالك اوجد داراً للامارة سيدنا المرحوم
الشريف غالب امير مكة سابقاً ومتصلاً بالدار قلعة عظيمة مشرفة
على مكة ومقابلها في الجهة الثانية شاماً قلعة جبل الهندي ومقابلها
من جهة الشرق جبل ابي قبيس ويمتد شرقي الحرم من الصفا
الى المروه ابتدائه المسعى وفي اول الصفا بيت آل بني شيبة الذي
نزل في حقهم على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها فسلمهم مفتاح الكعبة ودعا لهم والى الان
باقي في ايديهم ويليه دار سيدنا ابي بكر الصديق الذي بايع فيه
سيدنا عمر على الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم وفي وقتها اذن
المؤذن للصلاة بصوت منخفض فسأل عمر بن الخطاب النبي صلى
الله عليه وسلم لماذا يخفض صوته المؤذن فاجابه ما معناه خوفاً
من ان تسمع قريش فقال عمر رضى الله عنه اولسنا يا نبي الله على
الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم قال سيدنا عمر للمؤذن
اشهر الاذان يا بلال ثم جرد سيفه ووقف بالباب فلما سمعت ونظرت
قريش قالت صبا عمر ورب الكعبة ومنها لم يزل الاسلام يتزايد

لاجابة دعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام باحد العمرين والمسعى اخره المروى يمتد منه سوق الى اخر المدعا الذي كان عليه الصلاة والسلام اذا مر من هناك يقف فيه يشاهد الكعبة وكان يقول عند وقوفه معناه اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وزد من شرفه وعظمه وكرمه وهذا المكان المذكور يستجاب فيه الدعاء ومن جهة الصفا تمتد حارة القشاشية ويليها شعب بني هاشم وفيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا علي ابن ابي طالب رضى الله عنه وقد بنى عليهما احد الملوك قبباً تزار ومنها الى حارة الغزه وهناك دار الامارة ايجاد المرحوم امير مكة الشريف محمد بن عون على الشارع بخمس طبقات بخمسة ابواب وهناك في كل يوم ضحاً وبعد العصر وبعد العشاء عند جلوس دولتلو سيادتلو سيدنا امير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق باشا تصدح الموسيقة والنوبة ويليها دار من اعظم ما يرى انشأها امير مكة سابقاً عبد الله باشا شبت فيها نار والان خراب وهناك شعب بني عامر ومنها حارة السليمانيه وهي متصلة بالمعلا والمعلا مدفون فيها ابو طالب وبني هاشم وقريش وسيدتنا خديجة الكبرى يدفن في قبتها المتوفون من امراء مكة ويليها بستان العواجي ويليه منتزه للمرحوم الشريف عبدالله باشا ومقابله دار منتزه للمرحوم الشريف علي شقيق سيدنا الشريف عبد المطلب ويليها حارة المعابدة وهناك في اعلى المعابدة بستان الباضية مغروس فيه الاشجار والازهار

يشرب من عين زبيده وفي وسطها منتزه عظيم بديوان وبركة
وشذروان محاطًا بها الازهار وخارجه على الجادة بيت عظيم منتزه
ايجاد سيدنا المرحوم امير مكة سابقاً الشريف عبد المطلب وهذا
اخر بناء مكة المشرفة وفي اوسط مكة الحرم الشريف وطوله من
الشرق الى الغرب ثلثمائة خطوة ومن جهة الشام الى اليمين
مايتين وثمانين خطوة وفي الحرم زيادة من الجهة الثانية من باب زيادة
الى حد الحرم الاصلي ماية خطوة ومن الشرق الى الغرب
تسعون خطوة وفيه ايضاً زيادة من جهة باب سيدنا ابراهيم عليه
وعلى نبينا افضل الصلوة واتم التسليم وفي الجانب الغربي من الباب
الى الحرم ماية خطوة ومن الشام الى اليمين ثمانون خطوة وفي
اوسط الحرم الكعبة الشريفة مربعة الشكل في الجانب الشامي
حجر سيدنا اسماعيل عليه السلام ويصب فيه مازان الكعبة من
الذهب الوهاج اهداه اياها المرحوم السلطان عبد المجيد وقيل
المرحوم السلطان عبد العزيز وفي الجانب الشرقي بابها معتلياً عن
فرش الطواف مترين ويليه في الركن اليماني الحجر الاسعد
ومقابله بئر زمزم وفي اعلاه مقام ومحلاً للرؤساء والمؤذنين لاقامة
الصلوات ويليه الحطيم ومقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وتصلي
الان فيه الائمة الشافعية وخلفه شرقاً باب السلام المسمى باب بني
شيبه ويليه منبر من الرخام الجميل باتقان الصنعه لا يسمح بمثله
الزمان ويليه مصلى الائمة الحنفية وفي اعلاه محل اقامة الصلات

والدعاء لامير المؤمنين ولامير مكة المشرفة والى اهل الخير وغربا مصلى الائمة المالكية ويليه يمينا وجنوبا مصلى الائمة الحنابلة ويليه مصلى اغوات الحرم الاربعين المخصصين لخدمة شمعدانات الكعبة وسائر دائر الكعبة محل الطواف مفروش بالرخام المرمر الابيض والاسود والاحمر وسائر دائر الحرم الشريف مدارس لطلبة العلوم وللصلوات ايام ازدحام الحج مفتحة على الكعبة وابوابها من الشوارع وفي الحرم سبع منارات شاهقات وله اربعون بابا هذا ما تيسر جمعه من اوصاف الحرم الشريف والكعبة الغراء ومكة المشرفة . وسكان مكة المكرمة يزهو عددهم عن ماية الف وفيهم العلماء واهل الحديث والفقهاء والحفاظ والطلبة والادباء والشعراء وناهيك بشعراء البطحاء هذا ما تيسر معنا مع قلة البضاعة وقصر الباع على قدر الامكان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الاخيار . ثم نخبركم عن منتزهات امراء مكة وولاتها ومأموريها واهلها من ذوي الاقتدار وهي بلدة تسمى الطائف يذهب اليها من طريق السيل ثلاثة ايام على الجمال وفي كل محطة عين جارية ونخيل واشجار حتى يصل اليها والطايف بلدة صغيرة مزينها ومحليها ضريح سيدنا عبدالله بن العباس رضي الله عنهما ويقرب منه قريب السور بساتين متصلة وبعد نصف ساعة عين المثنى فيها بساتين انشأها سيدنا المرحوم الشريف غالب فيها من جميع اشجار الفواكه ومقابلها شاما بستان يسمى البهجة

اجياد المرحوم سيدنا الشريف عبد المطلب وهو مرتب بالغرس من الاشجار والفواكه والاثمار والزهورات وفي اوسطه متنزه وحوض بشذروان ومحفوف بالرياحين وبين البهجة والمثني لهما قصر مشيد باربع جهات شاماً يطل على البهجة ويمناً جنوباً يطل على المثني وشرقاً يطل على الطايف وغرباً يطل على الوادي المتصل بجبل بني مخزوم يسمى حنين وهناك مدفون الشهيد سيدنا عكرمة واجود فواكه المثنى الخوخ وشرقي الطايف على باب البلد قصر من اجمل ما يرى ويتنزه به لصاحب الدولة والسيادة سيدنا الحالي امير مكة سيدنا الشريف عون الرفيق باشا ودار بحذاه من اجمل الدور لدولتلو سيادتلو الشريف عبد الاله باشا ومتصلاً بالسور شرقاً الى ماشاء الله بستان بعين جارية وابار اجياد سيدنا المرحوم الشريف عبدالله بن عون ومنه البستان المسمى بشبرة وهو المتنزه مغروس بالاشجار والاثمار والازهار والرياحين ويحف البستان على الدائر نخل واجود فواكه شبرة التين والتوت ومن يمن جنوب بساتين تسمى لبه واجود ما فيها الرمان في غاية الكبر والحلاوة وفيه جنس من الرمان ليس في داخل حبها بزر وهناك شجرة عظيمة من القديم محفور بطنها بخلقة الرحمن تنصب في بطنها السفرة ويجلس على دايرها اثنى عشر نفر مع الاتساع من اغرب ما يكون فسبحان الخلاق العظيم ومن شامي الطايف على طريق الجبل وادي قرن وهو بساتين فواكه واجود ما فيه العنب ثم

تصعد منه الى جبل كرا ساعتين ومسطح الجبل في اعلاه بساتين
واجودها التفاح ثم تنحدر من الجبل ساعتين وتمشي في الوادى
ساعتين ثم يبدو لك ميدان مد النظر وفيه جبل عرفات الذي
يقف عليه وفود الحج يوم عرفة ثم تمشي ساعة ونصف الى مزدلفة
يبيت فيها الحجاج يجمعون الجمرات وتمشي صباحاً ساعة ونصف
الى منى وفيه سوق كبير واسع من اوله الى اوسطه ثلاث جمرات
وفي شعب العرب تحت الجبل محل مذبح كبش سيدنا اسماعيل
عليه السلام ومنى الذي يرمون فيه الجمرات الحجاج ويفدون
ويحلقون ويلبسون ثياب العادة ويفدون الى مكة من منى ساعة
وامير مكة تحت امارته اربعة عشر امير شداد منهم قائمقام الامارة
وامير ينبع وجهينة وامير وادى الشريف وحرب وامير الطايف
وامير الليث وامير وادى الليمون وامير عتيبه وامير هذيل وامير
البقوم وعدوان ومخلف وامير لحيان وقريش واخزاعة وامير بيشه
والجوف وامير جده وبحره ومده والجانين وتحت ايادى امير
مكة المشرفة من الاشراف وقبائل العرب الحاقين بمكة ستون
الفاً من فرسان الخيل العربية والشجعان الذي يركبون الهجن
والابطال الرماة المشاة تحت الطلب مستنظرين اوامره ونواهيه
ثم نتوجه من مكة المشرفة الى وادى الشريف ومنها الى عسفان
وكان عسفان ماء اجاجا فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم شكا
اليه اهلها بأن الماء يؤذيهم بمرارته فتفل في بئر عسفان النبي صلى

الله عليه وسلم فادلو الادلية فخرج ماء عذباً فراتاً ومن تاريخه الى الان لم يتغير طعمه بل هو اعذب مياه الدنيا ولذا ابار عسفان سميت ببئر التفلة

﴿ فصل فى وصف ديار مسروح وقبائلها ﴾

اول قبائل مسروح وديارها من بئر عسفان الى القضيمة الى رابغ الى مستورة يحد من الساحل الى الجار شاماً ويرجع يمناً الى جده هذه ديار زبيد ومن آبار الشيخ واعلا رابغ هرشا وبني ايوب في جبل لهم يسمى باسمهم قبيلة من مسروح ثم تصعد شرقاً الى وادي الفرع انتهائه من رابغ الى حرة مطير شرقاً ثلاثة ايام والى حرة البقوم من يمن وجنوب وقبيلة بني سليم متطاولة حرة البقوم لهم عيون في السهل وسكان الفرع يسمون بني عمرو من مسروح وديار عوف من القاحة الى آبار الشيخ الى جبل الغاير الى بئر الماش قرب المدينة وهذه حدودهم مساكن عوف وهذه قبائل مسروح وديارهم وعدد نفوسهم يزهون عن ستون الفاً ويليهم بنو سالم قبائل الأحامده وقبائل الحوازم ابتدائهم من آبار الشيخ الى آبار بن حصاني الى عين بدر وفيها شهداء بدر رضي الله عنهم الى الصفراء ومدفون هناك ابو ذر الغفاري رضي الله عنه الى الحمره وهناك مدفون ابو عبيدة من شهداء بدر رضي الله عنه ومنها الى الجديده ومدفون هناك سيدنا عبد الرحيم البرعي رضي تعالى عنه وبعدها تمشي في وادي المضيق بين جبال

شاهقة يقرب بعضها من بعض ست ساعات وهناك المعمعة والانتقام ومنها الى بئر عباس ومنها الى بئر الروحا وفي اسفل وادي الروحا مسجد الغزالة التي خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم ومنها تمشي في شعب الحاج وهو جبال شامخة يقرب بعضها من بعض وهناك الافتكار الى بئر الشريوفي ومنها الى آبار على قرب المدينة هذه حدود بني سالم من جهة المدينة ومن يمن وجنوب حدودهم مع جهينة الفجيج ويمتد الى جبل الفقرة الى قرب جبل بواط وهذه ديار بني سالم وعددهم ثلاثون الفاً او يزيدون واغلبهم رمات وابطال وديار جهينة حدهم من يمن وجنوب من بواط الى الفقرة متصلاً الى الفجيج وشرقاً بواط وجبل الاجرد حدود جهينة مع ولد محمد وشاماً حدودهم سيل وادي الحمض الى الوجه محاذهم بلي والحويطات وغرباً من الوجه الى ام املج الى جبل الحساني الى ينبع البحر الى مرسا المدينة المنوره في القديم المسمى الجار وفي اواسط ديار جهينة وادي ينبع النخل المعمور في سفح جبل حرير وجبل حرير في سفح جبل رضوى المشهور وفي الوادي اربعة وعشرين عيناً ساهرة مغروس عليها نخيل مثمرة وبعض اشجار وقليل من الخضار وهناك في اسفل وادي ينبع في الجهة القبلية مدفون بها ضريح سيدنا حسن المثنى بن سيدنا حسن السبط بن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وجهينة وقبائلهم يزهون على سبعين الفاً وذكرنا انه يحدهم بلي

والحويطات يمتدون من جانب وادى الحمض الى الوجه الى الفحاتين الى قريب جبل الطور الى وادي التيه من جهة الشام ومن جهة الشرق قبيلة الشرارات وحرّة هتيم الى خيبر هذه حدودها وعددهم نحو خمسة عشر الفاً هذا وصف قطر الحجاز تابعاً لأمارة مكة ووصف المدينة المنورة ومكة المكرمة فهذا ما تيسر معنا من جمعه وبالله التوفيق

باب

في وصف نجد وامرآئها

ونصف ايضاً قطعة نجد التي هي تحت ايادي امرائها الموصوفون بالكرم والجود ال الرشيد فنقول ان نجداً ارضها مسطحة سهلة يقل وجود الجبال فيها والمشهور فيها جبلان (اجا وسلما) ونجد عذبة الهوآء كثيرة الامطار والسيول وفي سفح جبل اجا مدينة تسمى ببندر حائل مركز امرآء نجد الان وفيها صاحب المجد والجود والكرم الامير عبد العزيز بن الامير متعب بن عبد الله الرشيد وهي مسورة ولها ثلاثة ابواب وبيوتها طبقة واحدة والقليل منها طبقتان مرتفعة البناء وفيها قهاوي مزينة داخل البيوت على عادة العرب وفيها قصر طويل العمر اميرها عبد العزيز المسمى ببرزان وهو كبيرٌ وهيئته حسنة وفيه مصيف واسع جداً لتناول الضيوف فيه الطعام ويلي قصر الامير اصطبل للخيل الجياد مركوب الامير وعمه واولاد عمه واتباعه وقريب من القصر دار امه صاحب السعادة والاقبال حمود العبيد الرشيد ومقابله جهة

اليمين دارًا لخزندارهم صاحب العزة والاقبال سبهان السبهان وبين قصر الامير ودار عمه ودار الخزندار ميدان كبير يسمى المسحب على الدائر مبنيٌّ بالبناء الجيد للجلوس وفي كل يوم يخرج صاحب الدولة طويل العمر الامير عبد العزيز في الساعة الاولى من النهار الى الساعة الرابعة من النهار ويجلس بجانبه عمه صاحب السعادة والاقبال حمود العبيد وبجانبه فضيلة حضرة القاضي وبين ايادي الامير صاحب الرفعة كاتب الامارة ومقيد الحقوق ويقابل الامير في الجهة الثانية صاحب العزة والاقبال سبهان السبهان خزندار الامير وتملي دكاك المسحب من كبار الاهالي والوافدون من المشايخ والضيفان ويجلس امام الامير على ركبة وتصف رجاله وعبيده متكئين على مقابض السيوف ينظرون في وجه الامير منتظرين اوامره ونواهيه وعند ما يستقر الامير في الجلوس تتقدم بين اياديه اصحاب الدعاوي والخصومات فيحكم بينهم في الامور العرفية والسياسية واما ما يتعلق بالشرع فيرسلهم الى القاضي بجانبه فيحكم فيها القاضي ويردها الى الامير والامير ينفذ احكام القاضي على موجب القرآن الشريف والاحاديث النبوية والاقوال الصحيحة فيقتص من القاتل ويقطع يد السارق ويقيم حد الرجم ولا يوجد في بلاد نجد شاهد زور ابدًا حتى لو سمع الامير بشاهد زور يجلبه من اقصى نجد ويعزره وينفيه وفي الساعة الرابعة ينفض مجلس الحكم والقضا ويدخل الامير قصره

وبعدها يدخل الضيوف والمحتاجون الى المضيف الواسع يتناولون الطعام ثم بعد برهة يخرج الامير الى مجلس له في القصر متسعاً وتدخل الضيوف بعد الأكل عنده ويشربون القهوة وكل من له حاجة يقف امام الامير ويكب عليه ويرفع ردائه على رأس الامير ورأسه ويذكر له حاجته في اذنه بكلام مختصر مفيد حتى يتم كل من له حاجة وعادتهم بعد شرب القهوة يدورون بمباخر عود الطيب في المجلس ثم ينهض الامير قائماً والحاضرون تابعين له الى الصلاة في الجامع مع الامام المقابل للقصر ووقت الصلوات يدور من طرف الامير مأمور في السوق والشوارع اذا وجد واحداً ما حضر الصلاة مع الجماعة مرخصاً له من الامير ان يسلبه عمامته ويسحبه الى باب الجامع وعند خروج الامير من المسجد يعرضه عليه فيأدبه الامير على تركه الصلاة مع الجماعة وجميع اهل البلدة والمقيمين فيها مكبون على الصلوات الخمس مع الامام في الجوامع وهم في غاية الذكاء والكمال والفصاحة العربية وحديثهم بينهم بالاحسان والتؤدة لا تسمع لغواً بينهم ابداً ان يكن بقايا من عوائد العرب القديمة وسننها فهي عندهم واني جلست بينها في مدة الامير المرحوم متعب ثلاثة اشهر وزرتهم مرتين واكثر لما رأيت من غاية الانسانية وكذلك امعنت النظر فلم اسمع في حائل بلدة الامير صوت طبل ولا غنا ولا مزمار الا طبل الحرب في وقته واذا مات احدهم لا تسمع صريخاً من اهله

وعيانه الا بكاء وحزنا وفي الحال يدفنون الميت ولو مات في الليل والطويل العمر ايضاً مجلس اخر مثل الاول بجميع اوصافه من بعد العصر الى قرب الغروب وفي وقت قيامه ينادي منادي باعلا صوته في المسحب العشا ثلاث مرات يا مفتاق يا محتاج ثم يقف ثانياً في السوق وينادي ثلاثاً مثل الاول فيرمون المفتاقون لتناول الطعام في مضيف اميرهم بعد الضيوف الذين لا ينقطعون من عند الامير كل يوم وليلة واقل ما يجتمع على مائدة الامير كل يوم اربعماية نفساً او يزيدون وبلاد الامير المسمى بحائل محاطة بنخيل تسقى من آبار عمق البئر خمسة عشر قامة وماؤها عذباً فرات وفيها بعض شجر من الفواكه ويقابلها في سفح جبل اجا قرية تسمى قفار ذات عين ساهرة تسقي نخيلاً وزروعاً وبلاد امير حائل محاطة من الثلاث الجهات بارض سهلة ما عدا الجهة الرابعة جبل اجاد كثيرة الربيع مسافة يومين وليلة وهي حما جعلها الامير لخاصته يربي فيها خيله وهجنه وابله ومواشيه وفي دائر الحما قرايا تبع رجال الامير وبعد خمسة ايام من الحما تحت ايادي الامير بلدة كبيرة تسمى عنيزة مسورة بسورين سور على نخيل محتاط بها والثاني على البلده وقريب منها سيل غالب الوقت يجري في اطرافه نخيل كثير سكانها اكثرهم تجار نجد واعيانها ومقابلها ايضاً بلدة كبيرة مسورة تسمى بريدة ولها قرايا تابعة لها ونخيلاً كثير تدعى القصيم متصلة بالدرعية ومنها الى

مدينة عظيمة تدعى العارض مساكن حكام نجد وامرائها الى السعود
في ايام عدلهم ولما ظلموا ووصلوا الى مكة والمدينة والحجاز الى
قرب الشام ومنعوا الحامل عن الحج ثلاثة سنين اذهبهم الله
جميعاً وصار الحكم لآل الرشيد الذين هم في العدل الان منهم
صاحب الدولة والاقبال طويل العمر الامير عبد العزيز بن
الامير متعب الرشيد ونذكر القبائل التي تحت حكمه المتفرقة في
اقطار نجد من شمر اربع قبائل خلاف المنتفق في جزيرة بغداد
مستقل بنفسه وقبائله واكثر قبائل عنزه تحت اطاعة امر الرشيد
طويل العمر عبد العزيز واكثر قبائل عتيبة وجانب من قبائل
مطير وقبائل مسروح سكان نجد وقبائل بني سالم المتوطنين في
نجد والشرارات وهتيم وغير ذلك قبائل كبار من العربان لم
نطلع عليهم وكلهم مطيعون لامره ونواهيه تحت الطلب واذا
بغت قبيلة على اخرى منهم او ارادت العصيان يربيهم ويقيم
العدل بينهم بالاحسان او السيف وفي كل سنة يأخذ منهم الزكاة
وفاقاً للشرع من خيولهم وابلهم واغنامهم ومواشيهم ونخيلهم
وزروعهم خلاف الخيل التي هي واقفة للحرب وهذا الذي ياخذه
زكاةً على وفاق الشرع يجمعه عنده ويفرق بعضه على المحتاجين
والفقراء ويصرف الباقي في الضيافات وفي العطايا للوافدين اليه
حتى لا يبقى على رأس السنة منها شيء ويبلغ ما تحت يده من
النفوس الذي عرفناها خلاف الذي لم نطلع عليه مائة وثمانون

الفا او يزيدون ستون الفا منهم فرسانا يركبون الخيول العربية الجياد وترى الخيل تحتهم كالاسود الضوارى وتراهم راكبونهـا كالعقبان شاكين السلاح ترى الشجاعة في اعينهم وستون الفا شجعانا راكبون الهجن وستون الفا رماة مشاة ويردفون بعض الاحيان مع اهل الهجن في وقت الغزو وكلهم لاهجون بدعاء الخير لحضرة مولانا امير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميـد وللدولة طويل العمر اميرهم المحفوف بعناية الرحمن عبد العزيز الرشيد لما قام بينهم من العدل والانصاف والامن في جميع الطرقات وهو تحت امر اوامر امير المؤمنين ونواهيه ودائما يقدم له الهدية العظيمة من الخيل العربية الجياد والهجن وغيرها ولا زال جلالة امير المؤمنين يحسن اليهم بالرتب السامية والنياشين العالية والتحف الغالية هذا ما حضرنا من الكلام على نجد وطويل العمر اميرها صاحب الدولة والاقبال عبد العزيز الرشيد وفقنا الله واياه والمسلمون على ما يحبه ويرضاه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اما نجد تبعد عن مكة ثلاثة ايام وعن المدينة ثلاثة ايام وعن حوران ثلاثة ايام وعن حلب ثلاثة ايام وعن بغداد ثلاثة ايام ومن الكويت ومن البصره ثلاثة ايام وسكانها عدد كثير

باب فى توجهنا من المدينة للسياحة فنقول

وقد آن ذكر ابتداء الرحلة الميمونة ان شاء الله تعالى فنقول توجهنا من المدينة المنورة في ١٥ شوال سنة ٣٠٦ راكبين المغرب

وحين استوينا على ظهر الناقة وسارت تذكرت قول الشاعر

هوا ناقتي خلفي وقدامي الهوى   واني واياها لمختلفان

فسرت وصباحاً وصلت جبلاً صغيراً يسمى الصنو حدود حرب من بني سالم من حدود جهينة ومشيت برهة حتى انخت ناقتي على بئر العامري فصليت واسترحت وتناولت الطعام ثم ركبت ونزلت من جبل بواط مساكن بني كلب ثم انحدرت الوادي مساكن ذيبان وعلى يميني جبل الاجرد مساكن عروة ثم نزلنا من جبل ارطاة وصباحاً وصلت وادي ينبع المعمور سكان بني ابراهيم اهل بأس وشدة قبيلتين عظام الموال والجرسه وصبحت النخل وصبحت لجار ومن القديم دائماً الفتنة بينهما الله سبحانه وتعالى يصلح احوالنا واحوالهم وينبع عيون جارية ساهرة ونخيل وبعض اشجار مثمرة وصرت امشي في بطن الوادي وانظر يميناً وشمالاً في ملك الله سبحانه وتعالى حتى وصلت اوسط الوادي ويقال له السويق تحت وادي ينبع النخل في سفح جبل حرير وحرير في سفح جبل رضوى المشهورة فنزلت في منازل الاباء والاجداد النازحين من القديم من مكة وهم في الاصل من بني مخزوم فوجدت ابناء عمنا فجلست عندهم اياماً ثم توجهت منحدراً من بطن الوادي بين عيون ونخيل يميناً وشمالاً مسافة ساعتين وصلنا اخر العيون وهنالك مدفون ضريح سيدنا حسن المثنى ابن سيدنا حسن السبط بن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين فزرناه وقرأنا الفاتحة

وركبنا الى ينبع البحر فوقت ركبنا من السويس اصحبونا ابناء عمنا باثني عشر نفر شاكين السلاح لتطمئن خواطرنا وبعد عشر ساعات وصلنا ينبع البحر وهي بلدة صغيرة اسكلة المدينة المنورة مسورة لها ثلاثة ابواب متوسطة البناء واهلها متوسطون فصحاء ادباء شعراء وناهيك بفصاحة العرب وان كانوا على الفطرة وفيهم بعض التجار من الصعايدة المتولدين بها فركبنا منها في سفينة الى بيت بن عتيق وعلى سبعة ايام وصلنا الوجه بلدة حقيرة متوسطة البناء فقابلنا تجارها واعيان اهلها وعزمونا وكان الوقت ضيقاً ومرادنا نتوجه فاعتذرنا ورجعنا الى السفينة واذا هم مرسلون لنا ثمانية رؤوس اكباش من الغنم الضأن وقائلون هذه ضيافتكم فاعطيناها اهل السفينة التي نحن فيها وشكرنا فضلهم وطلبنا من الله سبحانه وتعالى بعد تمام قصدنا يجمعنا بهم في المدينة المنورة ويقدرنا على مكافاتهم وفي وقت الفجر قامت بنا السفينة وقطعنا البحر وفي يوم وليلة وصلنا بندر القصير والوجه آخر الحجاز على البحر والقصير اول اسكلة من جزيرة مصر من جهة الشرق وهي بلدة قديمة بعض بنائها يكاد ان ينقض واذا بصديق لنا يسمى عبد الرحيم بن حسن ابو سالم ابو رقيبة اصله من ينبع النخل فاحضر لنا معونة حقيرة ونزلنا وارسل عفشنا الى داره وتوجهنا معاً الى مدير القصير ثم قمنا ووصلنا دار عبد الرحيم المذكور واذا بحضرة المدير مرسل لنا باشكاتب وامين الصندوق يبلغونا عنه السلام

وبعزمونا على لسان سعادة المدير واهل القصير اناس على باب الله وفيهم وكلاء وتجار وادباء متوسطين وبعد يومين ركبنا سائرين بين جبال ليس فيها شجر ولا مرعى وسكانها خضران الجلود يسمون البرابره وبعد ثلاثة ايام حاذينا اصوان على شاطىء النيل ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى بلد قنا فابتدأنا بزيارة السيد عبد الرحيم القناوي ثم نزلنا عند صديق لنا اسمه حسين افندي حماده وكان في بيته عمارة وبعد تناول الطعام حضر صديق له من اعيان قنا فاستأذن فينا حيث التكايف مسقوط بينهما فاخذنا عنده في دار عظيمة واكرمنا جزاه الله عنا افضل الجزاء فجلسنا في قنا ثلاثة ايام حتى تفرجنا في البلدة وطفناها وهي متوسطة البناء وفيها العلماء والناس الأخيار وهي على شاطىء النيل فاجتمعنا بسعادة مدير البلدة فاحتشمنا وعند قيامنا ارسلنا الى جانب بحر النيل المقابل من الجانب الثاني لاجل ان نتفرج على محل قديم يأتي اليه السواح من كل جهة لاجل الاطلاع عليه وهو من عهد بني اسرائيل وملوك القبطه واصله قطعة جبل مجوف بطنها مربعة مائتين وخمسين متراً في مائتين وخمسين متر مربعاً مركب على عواميد من اصل الجبل شاهقه والسقف من اصل الجبل والجدار الاربع الجهات من اصل الجبل وفي الاربعة الاركان اربع غرف وبينهما طريق موصلاً بعضه الى بعض كل هذا منحوت نحتاً من الجبل تنزل للغرف من باب صغير عشرة درجات وفي نفس الجدار

والمواميد والسقوف مكتوب كتابات مجسمة بالخط المرقلى الجلقرافي
القديم حروفه على شكل السمكة والطيور يقولون في هذا الوقت
ان الافرنج عربوا هذه الكتابات بلسانهم وكذلك مصورٌ فيه على
صورة الحيوانات والحشرات باصنافها والاشجار مثمرة وغير مثمرة
باصنافها وخلاف ذلك مما في الدنيا وهذا كله كل الكتابات بالنقش
في الحجر ولها باب كبير تنزل له باثنى عشر عتبه بالراحة من
احسن ما يكون وبعد التفرج عليها رجعنا الى قنا سائلين سعادة
المدير عن ذلك فاجابنا بان من جملة الاشياء التي ظهرت في
زمان عزيز مصر محمد علي باشا هذا البناء كان مطمور بتل
تراب فانكشف جانباً منه فامر محمد علي باشا بكشف جميع
التراب فوجدوا هذا القصر ووجدوا فيه انتيقات فنقل الانتيقات
محمد علي باشا الى انتيقة خانة مصر القاهرة ثم ودعنا سعادة المدير
وركبنا في وابور النيل صباحاً ماشياً بين اشجار ونخيل وزروعات
يميناً وشمالاً مد النظر وبعد العصر وقف بنا الوابور على بلدة
صغيرة وفي الصباح مشى بنا الوابور وبعد الظهر وقف بنا على
مديرية اسيوط فنزلنا وكان معنا بوليس مفتش مديرية اسيوط
برتبة ميرالاي فعزمنا الى داره فتوجهنا معاً وعلى الطعام دعا جاراً
له اسمه محمد باشا من اهل السودان وبعد الطعام والمحادثة نمنا
وفي الصباح تمشينا في البلدة وهي بلدة عظيمة متوسطة في
البناء والشوارع والاسواق عظيمة التجارة يرد عليها من السودان

من الفيل وريش النعام والصمغ وخلافه ويرسلون منها الى السودان الاقمشة الابيض والاسود وهم على مكاسب عظيمة وفيهم العلماء والحفظة واهل الطرائق وفي ثالث يوم ركبنا الشمندوفر بين نخيل واشجار ومزروعات مد النظر يمينًا وشمالاً حتى وصلنا محاذين مدينة البهنسة فنزلنا هناك وركبنا دابة حتى وصلنا البهنسة بعد ساعتين فنمنا وفي الصباح زرنا من فيها من اهل البيت والصحابة وجميع الشهداء ثم ركبنا الشمندوفر وفي ربع ساعة وصلنا الى محطة اسمها طنبده وآب) فمشينا ربع ساعة الى بلدة اسمها اشنين وهناك ضريح الشهيد سيدنا سليمان بن خالد بن الوليد المخزومي رضى الله تعالى عنه فزرناه ورجعنا الى الشمندوفر وعندما جاء والده سيدنا خالد خبر نعيه بكا وقال منشدًا في هذه الابيات

جرى مدمعي فوق المحاجر وانهمل ... وحر القضا قد زاد في القلب واشتعل
وهدّ فوادي يوم اخبرت نعيه ... وضاقت بي الدنيا ودمعي قد هطل
وزادت بي الاحزان والهم ضرّني ... وعن قلبي المحزون بالله لا تسل
سابكي عليه كلما اظلم الدجا ... وما ابتسم الصبح المنير وما استهل
لقد كان بدرًا زائد الحسن للملا ... واصبح بعد النور والزهو قد افل
وكان كريم العم والخال سيدًا ... اذا قام سوق الحرب لا يعرف الوجل
احاطت به خيل اللئام باسرهم ... وقد مكنوا منه المهند والاسل
فوا اسفًا لو انني كنت حاضرًا ... بابيض ماض للجناحين متصل
تركتهم وسط المعامع جيفةً ... عليها تساق الطير في السهل والجبل

لاقتل منهم في الوغا الف سيداً   اذا سام الرحمن واقسم الاجل
وحق الذي حجت قريش ابيته   وارسل طه المصطفى غاية الامل

ولما فتح البهنسة رضى الله عنهم سار في الصعيد يفتح بلداً بعد بلد حتى اوفا نذره وبعدها انشد هذه القصيدة بذكر بفتح البهنسة وما بعدها ومدح الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين وذكر غير ذلك فقال

اتينا بلاد الكفر للحق نفتح   فتم لنا فيها الفتوح المفرح
لوجه صعيد مذ اتينا بجمعنا   فتحنا بلاداً عدها مترجح
وبالبهنسه الغراء قامت جيوشنا   ثلاث سنين بابها ليس يفتح
وكان غاناً من الوف رجالنا   وكل همام عن ثمانين يرجح
فما فتحت الا وقد صار جمعنا   ثلاثة آلاف وبعض مجرح
ولا مر بي يوم كيوم حروبها   وكان بها البطلوس ليثاً مجحجح
ولم ارى في ارض الصعيد كمثله   وبطلوسها لما علا السور يرمح
وكان له جيش وعدة جمعه   ثمانون الفاً بالسلاح توشح
وكنا هزمناهم مراراً كثيرة   ويخدعنا البطلوس فيها فنصفح
وكم لعب الهندي يوم فتوحها   وكانت رجال فيهم وهي تذبح
الى ان ملئنا البر والبحر منهم   وقد شبعت منهم طيور جوارح
ثلاثون الفاً قد تولت الى الفلا   وعشرون الفاً منهم قد تجرحوا
فمنهم بصدر يلتقي الطعن في الوغا   ومنهم بخد للصفاح يصافح
وبطلوسهم ذلك اللعين قتلته   وقد كان في بحر الحرابة يسبح

وعاجلته بالرمح مني بطعنة فاردته حالاً وهو كالخيل يجمح
فعاد برمح بن الوليد مجندلاً على ساحة الغبراء للدم ينضح
تركناه في بحر الدماء على الثرى قتيلاً عليـه النائحات تنوح
وسارت جيوش الكفر من بعد قتله ترا غنماً قد غاب عنها المسرح
وكان لدى الهيجا شجاعاً مصادماً على اشهب في حومة الحرب يرمح
وقد فرحت اكبادنا يوم قتله لعمرك والاكباد بالنصر تفرح
اقمنا بارض البهنسه يوم فتحها ثلاثين يوماً للمساجد نصلح
وسرت الى ارض الصعيد مبادراً بالفين بالهيجاء تمسي وتصبح
من البهنسه لاصوان جمعاً فتحتها بعشر شهور اهلها قد تزحزح
وعدنا الثلاثين الاولى شاع ذكرنا وكل فتى منا عن الالف يرجح
ورحنا فتحنا الهند والسند كلها واسيافنـا لله دمـاء تسفح
وفي كل ارض قد تركت فوارساً الى ملـة الرحمن للناس توضح
وهذا كلام بن الوليد بما جرى فكن سامعاً مني الذي لك اشرح
فما مثله في حومة الحرب فارس ولا مثله في جوهر النظم مفصح
ومن بعد ذا صلوا على اشرف الورى محمد باهي الخلق وجهاً واسمح
نبيٌّ اتانا بالكتاب وبالهدى وتابعهم في الدين بالخير يربح
عليه صلات الله ثم سلامه مدى الدهر ما دام الطيور تسبح
وآل واصحاب منذ ساروا الى الوغا جميع بلاد الله بالحق اصلحوا

وبعد تمام زيارتنا للصحابة الشهداء مع زيارة سيدنا سليمان بن خالد بن الوليد المخزومي في شنين ركبنا الشمندوفر صباحاً

ووصلنا العصر مدينة مصر المحروسة ثم بزيارة سيدي الليثي والامام الشافعي واهل القرافة رضى الله عنهم اجمعين ومنها ابتدأنا بالخط الاول مصر العتيقة وهي متوسطة البناء واهلها متوسطين خلاف البناء الجديد وهناك سيدنا عمر بن العاص في ضريح له في جانب جامع كبير له فزرناه رضى الله عنه ومنها ركبنا الوابور قطعنا بحر النيل الى الجيزة وهي بلدة متوسطة واهلها متوسطين ومنها الى الاهرامات التي هي من عهد ملوك القبط شكلها مربع على هيئة المسلة وقد نزلت في احداها من باب صغير الى اسفلها واحد وعشرين درجة وهناك حجر رخام محفور شبه القبر مركوز في جانبه لوح رخام غطاء له ثم رجعت الى سرايا الجيزة فيها سرايا ايجاد اسماعيل باشا من اجمل ما يكون مرتبة سقوفها وجدرانها منقوشة بالذهب الوهاج ومحاط بها بستان فيه الاشجار والاثمار والازهار والرياحين مغروسة على الترتيب وجانب منها مفروش بحجر المرمر الابيض والاحمر والاسود الحبة على قدر بيضة القمري وهناك اقفاص من حديد مملوءة من الوحوش وانواع الطيور وكثير من الحيوانات مثل الحيوان الذي يظهر منه الزباد وخلافه ويشق البستان نهر صغير يجلب اليه بواسطة الوابور من النيل وفي سراياها نقلوا انتيقخانة مصر من بولاق ووضعوها فيها تفرجنا على الجميع بالدقة ثم توجهنا الى سرايا الجزيره جهة لوكاندة وجهة اوتيل للسواحين والمتنزهين المتفرجين من اهل مصر

ثم قطعنا النيل على جسر من الحديد وفي اخره على الشمال على شاطئ النيل قشلة عظيمة فيها عساكر المحتلين ومقابلهم دار عظيمة فيها زعيم الانكليز ومنها الخط الثاني وهو الاسمعيلية في اوسطه شارع متسع بالاشجار مد النظر متقابل فيها البيوت بالبساتين كأنها سرايات فتفرجنا في سرايا الاسمعيلية ساكن فيها الغازي احمد مختار باشا ثم الخط الثالث وهو خط سيدتنا زينب فزرت مقامها ولها مسجد عظيم وقريب منها دار سعادة احمد راشد باشا كأنها سرايا محاطة من الاربعة الجهات بالاشجار والرياحين وعند دخول الباب مهيء دائرة من اجمل ما يكون معدة لوفود اهل الحرمين الشريفين يحبهم ويكرمهم جزاه الله تعالى عنهم افضل الجزاء وشكر الله مسعاه ومنها يمتد شارع الدواوين متسع منتظم بالاشجار متقابلة دوره مع بعض كانها سرايات وفي اوسطها ديوان مالية مصر وفي اخر الخط المذكور مسجد لسيدتنا سكينة ولها جامع عظيم ومقام لها بقبة ويليها جامع لسيدتنا نفيسه من احسن ما يكون ولها قبة مقام فيه ثم سرنا الى الخط الرابع وهو خط الحلمية في اوله سرايا عابدين من انظم ما ينظر ويرى في السرايات وقد وافقت عيد الفطر وحضرت سلامالك العيد للخديوي في سرايا عابدين ولها ميدان كبير مصطفة للسلاملك فيه الجيوش من العساكر النظامية والضابطه والبوليس والطوبجيه اهل المدافع والخيالة السوارية وترى خيلهم كالاسود والرجال فوقها كالعقبان

والموسيقى تصدح من كل جانب بالالحان العربية ووقتاً بالتركية ووقتاً بالافرنجيه على افرنكه واذا بالخديوي المعظم صاحب الفخامة والدولة في عربيته خارج من المسجد ودخل السرايا وجلس في الايوان المعايدة واذ بالعائلة الخديوية ويتبعهم دولة الغازي احمد مختار باشا والوزراء والسادة والعلماء والامراء والتجار والعمد والمشايخ واعيان الاهالي يردون ويتبعهم القناصل على الترتيب من الساعة واحدة الى الساعة السابعة ثم يختم بالمعايدة زعيم الانكليز امير المحتلين ثم بعد الفرجه على المعايدة كلك الخط الرابع ومشيت من اول شارع محمد علي باشا وهو متسع مرتب بالاشجار متقابل البيوت بعضها لبعض كأنها سرايات وفي اوسطه سرايا الحلمية وآخره جامع قديم بناء الملك المظفر شاهق جداً وفي جانبه ضريحه جيد البنا من بنائه الى الان ما اختل فيه شيء ومقابله جامع الرفاعي جددته والدة الخديوي اسماعيل باشا من اعظم واجمل ما يكون في البناء ولكن ماتت قبل ان تتم اعلاه والان مسكوكة ابوابه ربنا يوفق له من يتمه وقدامها ميدان يسمى الان بالمنشية مغروس بالاشجار وحياض الماء وهناك حضرنا خروج المحمل المصري الى الحج وتفرجنا على السلاملك الذي يعمل له عند خروجه مثل سلاملك عيد الفطر وفي جانب الميدان جبل الجيوش مركب عليه قلعة متفرعه مصر لم يسمح بمثلها الزمان وجدد فيها عزيز مصر محمد علي باشا جامع بقبة واحدة بمنارتين

على هيئة جوامع استانبول وهو مدفون في جهة من الجامع كان
يسكنها ويحكم فيها من اجمل ما يكون ثم عرجنا من سوق السلاح
الى الخط الخامس من باب الشعريه وهناك جامع الملك قلوون
وضريحه في جانبه وهو من اجمل البنا مطرز بالنقوش الذهبية
سقوفه ومحرابه وجداره ثم مررنا على سوق الفحامين منازل
المغاربة واسواقهم فيها ثم مررنا على السكة الجديدة وتفرجنا على
الجامع الازهر وهو من اكبر جوامع المسلمين ومحاط من الاربع
الجهات باروقة على اسامي جميع البلدان يسكنها الطلبة والجامع
خاصاً بالعلماء والمتعلمين الذي يبلغ عددهم اربعة عشر الف ولهم
يومياً شيء معين وله خمسة منائر شاهقات وخمسة ابواب ثم
زرنا سيدنا الحسين في مقام له وبجانبه جامع له كبير مركب على
عواميد من الرخام المرمر جيد البناء منقوش بالذهب مفروشة
ارضه بالحجر الرخام وعليها سجاجيد من اجمل ما يكون جدد في
عهد اسماعيل باشا بامر مولانا امير المؤمنين السلطان عبد العزيز
لما حضر الى مصر ثم يمتد شارع منه يمر على دار كأنها سرايا
القاضي مصر وكتابه ومجالسه وبيت المال يتصل الى الجمالية الى
باب النصر ثم تعرجت الى سوق النحاسين وهناك جامعان كبيران
لامراء مصر القديمين في غاية الزينة والنقوش الذهبية ثم تمشي
من سوق الصواغ وعلى يمينك خان الخليلي محل ما
يباع البز والانتيقات ومقابله وكالة الجوهرجيين ثم تمشي شارع

الموسكي سوق من اجمل ما يكون الى الازبكية وهو الخط السادس اوله مجمع محطة الترامواي المتفرق في شوارع مصر يمشي بالنور الكهربائي بالالاتريك ويليه صورة ابراهيم باشا في تماثيل مجسمة راكباً حصاناً مجسماً يشير باصبعه اليمين نحو الاوردي بالهجوم ويليه بستان نزهة اهل مصر المسمى الجنينة مغروس بالترتيب من الاشجار الجميلة والاوراد والزهورات والرياحين المتنوعة وفيه جبل صغير مصنوع يجلب اليه الماء بالوابور المكينة ويصب في اعلى جوفه وينسكب من اوسط في البستان كأنه عين جارية ويصب في بركة عميقة كبيرة جداً مدورة وفي اوسطها شذروان ومعونة صغيرة للمتفرجين وفي كل يوم بعد العصر الى الساعة الثالثة ليلاً تصدح الموسيقة بالتركي والعربي والافرنجي واربعة تخوت ألات في الاربعة الجهات من البستان من الات الطرب المطربة والاصوات العجيبة والانغام المطرب وسائر دائر البستان بيوت واوتيلات ولوكاندات وكزينات وشارعان ممتدان منها الى سكة الحديد محطة الشمندوفيرات ثم نرجع الخط السابع بولاق وهناك مطبعة الميري ويمتد منها شارع الى الازبكية متقابلة فيها البيوت من اعجب ما يكون واحسن ما ينظر ثم من هناك الخط الثامن المسمى الغورية وهناك جامع السلطان الغوري من اعظم الجوامع واكبرها واشهرها باربع منارات شاهقات شكل الجامس وعند التفرج على الجامع اجتمعنا باحد وجوه المصريين

فسألني بلغة فصيحة خلاف كلامهم المعتاد قائلاً السلام عليكم ورحمة الله من اين الرجل فاجبته وعليكم السلام ورحمة الله

يقولون لي من اين انت اجبتهم حجازي مديني والمديني غريب

قال استغفر الله مولانا ما قصدت شيئاً بل اني توسمتك من اهل الحجاز اهل الادب فاردت التبرك بك فقلت استغفر الله فقال لي سئلتك بحق من انت بجواره ان تشرب قهوتي في هذه الليلة فبعد التمنع اجبته فاحضر عربيةً وركبنا الى داره واذا هي باجمل ما يكون من الدور فوجدت فيها جماعة من الادباء يستنظرون من اهالي مصر فبعد تناول الطعام صارت بينهم المذاكرات في كتب الادب و يتناقلون الاشعار حتى انتهى المجلس فاستأذنت وخرج معي صاحب الدار فحيث ركبت العربية سلم عليّ واهداني هدية فاخرة احببت الاشارة الى معرفتها بلغز قاله احد الفضلاء

وجارية لها فضل تناهى مبرقعة كشمس قد علاها
لها وجه كبدر من لجين وانوار تسرك ان تراها
لها خد اسيل خدشته اولى الابصار تخديشاً دعاها
مكرمة تجول بغير روح وتخبر دون نطق سائلاها
لها صوت خفي دق معنى واسماء توارت في حشاها
تصوم الدهر لا تشك لجوع ولا تعيا اذا جابت فلاها
تسير لدى الصباح لنحو غرب وترجع عندما يبدو دجاها
رباعية لها قلب فعول . لدى التصحيف احلى من جلاها

عجبت لها شبيه بدون تيه ... نهايتها لثغرى من تباها
لها طرف احد من المواضي ... وقد مثل رمح قد علاها
لها تاج سما قدراً فدع ما ... تلاقيه منوطاً في سماها
كذا قد اخبر الرحمن عنها ... وآيات الكتاب روت لطه
فامعن ذا الذكي اسداك ربي ... علوماً ثم فضلاً وانتباها

حل اللغز الفاضل عبدالله افندي مدني ابن شيخ الخطباء الاسبق في المدينة المنورة

وفي الصباح كملنا الفرجه على النوربه ومنها شارع متصل الى العباسية وهي في غاية النظام من جهة البنا والاشجار والشوارع على الطرز الجديد عذبة الماء والهواء وفي انتهائها قشلتان احدها للعساكر المصرية والثانية للعساكر المحتلة فهذا تمام ما قدرنا نطلع عليه في مصر المحروسة ومصر ممتازة على جميع المدن بثلاثة اشياء منها اهل العلم ورواة الحديث والفقهاء المحققين اهل الفضل وهذا لا ينكره احد والثاني قراءة القرآن بالتجويد والترتيل والصوت الجميل الذي يشرح الخاطر وينعش الفؤاد والثالث ضرب الآلات للطرب باتقان وحسن اصوات على تمام الانغام المشهورة والحركات حتى ان الذي يتفرج ويسمع يأخذه الطرب غصباً عنه وهذا اظن لا ينكره احد ثم تفرجنا على شبرا خارج مصر ايجاد محمد علي باشا وتفرجنا على سرايا القبه ثم سلمنا على اهل البيت والاولياء وودعنا من نحب وركبنا الشمندوفر وعرض لنا بحر النيل على

شاطئه مدينة بنها وهي متوسطة البناء كثيرة الفواكه اهلها متوسطين
واحسن ما فيها الرمان وهناك يعترض بحر النيل مركب عليه
جسر جسيم من الحديد يمر عليه الشمندوفر حتى وصلنا طنطا
وهي مدينة عظيمة في اوسطها جامع السيد البدوي جدده اسماعيل
باشا بامر امير المؤمنين السلطان عبد العزيز لما زار السيد البدوي
فبناه مركب على عواميد من الرخام شاهقات وبجانبه قبة مقام
السيد البدوي وهناك جيران له من الاكابر باربعة ابواب باربعة
منابر شاهقات والبلد الان متسعة الاسواق والشوارع والبيوت
على الطرز الجديد وفيه العلماء وحفظة القرآن وله سيف السنة
موسمان من اعظم مواسم العرب تجتمع هناك وفود الزوار يزيدون
على مائة الف يقيمون خمسة عشر يوماً وتتم الزيارة وينفض
السوق ربح من ربح وخسر من خسر ومنها الى بلدة دسوق
وفيها جامع كبير في جانبه مقام السيد الدسوقي بعد زيارة السيد
البدوي يزورونه وموسمهم ثمانية ايام والبلدة متوسطة البناء واهلها
غير متمدنين فيهم العلماء واهل الطرايق وبعد الزيارة ركبنا
الشمندوفر الى دمياط وهي بلدة على طرف النيل الذي يصب
في البحر على طول مقوسة كالهلال نزلنا في دار العالم الفاضل
الاديب صاحب السعادة رئيس التجار السيد الاوزي اكرمه الله
تعالى كما اكرمنا وهي مدينة متوسطة البناء وفيها جوامع
العظام وفيها العلماء والادباء وفيها حفظة القرآن على الروايات

قلما يوجد مثلهم في جزيرة مصر في التجويد فتمشينا في الجوامع
والاسواق وقريب منها بحيرة كبيرة يجتمع فيها الاسماك بكثرة
محصولها يباع في كل سنة من طرف الميري بمائة وخمسين الف
جنيه اعني ليرا والمشتري يربح بذلك ثم بعد تمام الفرجة ودعت
السيد المذكور وركبت الشمندوفر وتوجهت الى الاسكندرية
وهي مدينة عظيمة كبيرة منتظمة على طرز بلاد الافرنج بالشوارع
والاسواق والمتنزهات جيدة البناء الى خمسة طبقات اكثر
شوارعها المستقيمة مبلطة بالحجر المربع الكبير فنزلنا في دار صاحب
السعادة صديقنا سعدالله بك حلابه ولنا عادة كل ما نأتي الى
الاسكندرية ننزل في داره العامره وله عادة علينا اذا عزم الى
الحجاز يرسل لنا نحضر ونأخذه الى المدينة ثم الى مكة ثم الى
الاسكندرية ثم نتوجه وبعد ما استرحنا في دار المذكور ابتدأنا
بالفرجه في سرايا رأس التين وهي ايجاد عزيز مصر محمد علي
باشا وكل من تولى خديوية مصر يجعلها متنزه في اوقات الصيف
وهي على الدائر محتوي عليها البحر المالح ويمتد منها شارع
الى المحافظة وهذا مساكن العرب ولم يزل الشارع ممتداً الى
المنشيتين الكبيرة والصغيرة وهناك يفترق اربعة شوارع تخول من
اوسع واكبر ما يكون متقابلة فيها البيوت والبنوك والبرص
والكزينات ودوائر الحكومة كانها كل واحدة سرايا وفي وسط
المنشية مصور من النحاس محمد علي باشا بهيئته وعمامته مجسم

راكب حصاناً مجسماً الناظر فيه يقول صحيح كأنه يأمر وينهي وعلى قطره شارع السبع بنات يمتد الى القباري وهنالك شمندوفر حمل البضائع الصادر والوارد للاسكندرية وهناك بورص في الجمعة مرتين يجتمع فيه التجار من المسلمين والافرنج يتباعوا فيها القطن والسكر واصناف الحبوب وغير ذلك ويشتروه ويرسلوه الى الشام والاستانة واوربا واكثره الى الشارع الثاني يمتد من المنشية الصغيرة مستقيماً صفة الشارع الاول مد النظر الى ان يصل الى الجنينة وهي محل الطرب وتفسح الشباب والشارع الثالث شارع توفيق باشا مد النظر مستقيماً مثل صفته الذي تقدمت يمتد الى المطارين الى باب سدره الى ماشاء الله والشارع الرابع شارع شريف باشا مستقيماً ممتداً موصلاً الى محطة الشمندوفر والباب الذي يخرج الى نمرة ثلاثة احد متنزهات اسكندرية ومنه شارع يمتد الى الباب الذي يخرج على الرمل والرمل منتزه لأهل اسكندرية فيه سرايا منتزه للخديوي والاغنياء وفيه قزينات اعني قهاوي على البحر بالنور الكهربائي الاتريك وهناك بساتين فيها الاشجار والازهار والاثمار والرياحين ثم ترجع على طريق نمرة ثلاثه سرايا منتزه الجهاد اسماعيل باشا اشتراها الغازي احمد مختار باشا باسم افندينا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد ومختار باشا المذكور في كل سنة يتنزه في الصيف فيها ثم زرنا مقام النبي دانيال ومقام اسكندر ذي القرنين والسيد المرسي والسيد الابوصيري

وغيرهم من الاولياء ولكل واحد منهم مقام في مسجد له من الحسن ما يكون وفي اسكندرية العلماء والادباء والشعراء والتجار وسكانها ينوفون عن مايتي الف هذا ما وسعنا من الاطلاع على مدينة اسكندرية وهي معتدلة الهواء طيبة الفواكه خصوصاً الموز والنبق طالم السدر ثم توجهنا في الشمندوفر ومررنا على الزقازيق وهي بلدة كبيرة فيها الفابريقات للقطن وخلافه عريضة التجارة ثم مررنا بالاسماعيلية بلدة صغيرة ولكن بناؤها مفصل على هيئة اوروبا الطرز الجديد ثم وصلنا السويس وهي بلدة جميلة غالبها على الطرز الجديد متوسطة في البناء واسعة الشوارع والاسواق على شاطيء البحر والجنب الثاني البر فيه ترعة عليهـا بساتين محاطة بالبلد واهلهـا فيهم قليل من التجار والغالب وكلاء تجار وفيهم الادباء ثم توجهنا الترعة البحر الذي متصل من السويس الى بورث سعيد وبورت سعيد بلدة صغيره منقسمة الى قسمين احدها للافرنج وهو مرتب في البناء والشوارع والقسم الثاني للاسلام وهي مركز للوابورات وفي كل يوم وليلة يمر من الترعة ذهاباً واياباً قدر خمسة عشر وابور من اوروبا وغيرها ومن الهند والسند والجاوه وغيرها يتخالفون هـذا رائح وهذا قادم وكل وابور يمر يدفع لصاحب الترعة رسم على قدر كبر الوابور وصغره من ثمانماية ليرا الى ثلاثماية ليرا واذا لم يدفع المبلغ الوابور مقدماً يمنع من المرور هذا ما قدرنا وتيسر جمعه من القطر

المصري وسكانه تسعة ملايين تقريباً وهذا ما وسعنا من وصف هذا القطر العامر والارض الطيبة التي قيل فيها ترابها ذهب ونيلها عجب وهي لمن غلب آه آه آه

باب في وصف الجامع الاقصى ودمشق وجزاير سوريه

ثم توجهنا الى بلدة يافا وهي اسكلة على البحر صعبة المرسا حيث انها مقابلة للهواء وهي متوسطة البناء كثيرة الاشجار والاثمار واكثره شجر البرتغال والبطيخ الذي لا يوجد مثله في الحلاوة والطعم وهي بلدة متوسطة وفيها العلماء والفضلاء ثم توجهنا لبيت المقدس فيه المسجد الاقصى وهي مدينة في سطح جبل ينحدر بسهولة الى الجامع في محل مسطح مثل شعب متبطن جبل وهذا بيت المقدس وهو حرم كبير مسافته للماشي نصف ساعة وفي ناحية منه مسجد كبير للمصلين مطرز بالنقوش الذهبية وفي اعلاه محل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما اهل البلد طلبوا من الصحابة الكرام لا يسلموا بلادهم حتى يروا سيدنا عمر بن الخطاب باعينهم فكتبوا الصحابة لسيدنا عمر بن الخطاب فحيث وصل اليه الجواب ركب وحضر الى القدس ولما رأوه اهل البلدة وعندهم صورته في كتبهم القديمة سلموا له البلاد ومن اسلم جزاه الله خيراً ومن ابا قسام الجزيه وفي وسط الجامع الصخرة المعلقة المشهورة وفي بينها بحذاء الجبل مقام سيدنا سليمان ومقامات الانبياء كثير عليهم وعلى نبينا افضل الصلوات واتم التسليم ثم تفرجنا في البلده

وهي كبيرة عظيمة الا ان شوارعها غير منتظمة وفي اوسطها كنيسة القمامة التي يزعم المسيحيون انها من عهد سيدنا عيسى عليه السلام وهناك بناء جامع مقابله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا انه انقض كثير بنائه لقدمه ولم يطالعه احد من الحكومة واهل البلاد فنتوسل ونرجو من الله بجاه نبيه عليه الصلاة والسلام على اهل السماحات والوجاهات والاعيان الذين يجتمعون بامير المؤمنين السلطان عبد الحميد ان يسعوا عن اخباره عن هذا المسجد لاجل ان يوفقه الله بنائه من جملة الخيرات والمبرات التي تصدر عنه دائمًا ابدًا يامر ببنائه وانشائه او يوفق الله من اهل الخير احدًا يسبق على هذه الفضيلة وينشئ هذا المأثر العظيم فوالله الذي لا آله الا هو لما زرته وصليت فيه زرفت عيني بالبكاء لان العين بصيره واليد قصيره ولا عندي ما يعمره فخرجت منه متأثرًا متأسفًا ولكن انشاءالله اني قبل الممات اراه مبنيًا مشيدًا حتى تطيب نفسي وبيت المقدس فيه العلماء والادباء والشعراء وتوجهت الى مولد سيدنا عيسى عليه السلام وهو مقابل القدس في بيت لحم على جبل بينهما نصف ساعة وهو غار ينزل الزائر فيه ثمانية درجات تبركًا ويطلع وفي اسفل الجبل نخيل مثمرة يقال ان النخلة التي حدث الله عنها بقوله وهزي اليك بجذع النخلة الآية بين هذا النخل ثم توجهنا الى الخليل وهو مقام سيدنا ابراهيم ومن معه من الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة

واتم التسليم فزرناهم وتباركنا بهم ثم تمشينا في البلدة وهي صغيرة متوسطة في سفح جبل ومتصل بها يمنا وشمالا بساتين وكروم كثيرة حاوية جميع الفواكه واجودها العنب والتين وفيها العلماء والادباء فلما تممنا الفرجه رجعنا الى يافه وركبنا الوابور الى حيفا وهي بلدة صغيرة على البحر جميلة كثيرة الاشجار والفواكه وفيها العلماء وبعض الادباء ثم منها الى عكا وهي ابدكلة على البحر مسورة ومحاطة بالقلاع القديمة الجيدة بيوتها متوسطة البناء وفيها جامع كبير ايجاد احمد باشا الجزار وفيها قليل من العلماء والادباء وفيها الفواكه رخيصة الاسعار ومنها الى صيدا وهي بلدة صغيرة كثيرة الاشجار والمياه والفواكه واجود فواكها الموز المسمى بالتركي والافرنجي بنانه ويجلب منه الى مدن من كثرته ومنها الى بيروت وهي مدينة عظيمة في سفح جبل لبنان جيدة البناء وفي اوسطها سرايا الحكومة قدامها ميدان كبير يسمى البرج مغروس بالاشجار وفي اوسطه احواض بشذروانات وعلى دائر هذه الاشجار دكانات وقهاوي منتزه عظيم وهنالك يصب نهر الكلب مقسم من هنالك في المدينة وسكانها يبلغون مائة الف ثمانون منهم مسيحيون وعشرون الفا مسلمون ولكن البغضاء متمكنة بينهم ودائما السيطرة والغلبة للمسلمين عليهم وهي مدينة عظيمة التجارة كثيرة الارزاق فيها مكاتب كثيرة لتعليم اولاد المسلمين واولاد المسيحيين فيها العلماء والادباء والشعراء

والاشجار وجبل لبنان المذكور يسكنه الاروام ولسانهم عربي وقيافتهم عربية وعليهم والي من طرف امير المؤمنين السلطان وهي رخيصة الاسعار وفيها بعض الجمال طيبة الهواء وبعد تمام الفرجة ركبنا الديلجانص يعني العربية بستة خيل على طريق جبل لبنان لاجل الفرجة حتى وصلنا الى دمشق الشام وهي عاصمة سيدنا معاوية رضي الله عنه والان مدينة عظيمة فيها اوردي للدولة ومشير عسكري ووالي على المدينة وزير ملكي وهي مدينة عظيمة ويصب فيها ثمانية انهر ماء عذب تشق وسط المدينة مقسمون على جميع البيوت ويخرجون من وراء السور ويسقون اراضي متسعة فيها الاشجار والاثمار والكروم والمزروعات من الحبوب والمدينة متوسطة البناء واكثرها طبقتان خلاف الطرز الجديد اذا رأيت الدار من خارج لا يعجبك منظره واذا دخلت بطن الدار ينشرح صدرك لحيث تجد الطبقة الاولى في اوسطها بستانا صغيرا فيه حوض بشذروان ومغروس بالنارنج والشجر الجبلي والياسمين منتشرا على الجدران والاوراد والرياحين مختلفة الالوان والروايح وفي صدر الدار قاعات ودواوين ملبسة جدرانها بالزلج الملون منقوشة سقوفها بالصور العجيبة بالذهب الوهاج مفروشة ارضها بالمرمر والبعض بالحجر هذا محل الصيف والطبقة الثانية على الدائر مجالس ومربعات واجل بيوتها الذي كانه سرايا مما يتفرج عليه مما فيه من الهيئة والزينة والنقش والشذروانات والاشجار والازهار

المتنوعة دار صاحب السعادة مراد افندي وحسن باشا القوتلي متعها الله بذلك ونظير هذا الدار لسعيد باشا باش سنجق المحمل الشامي اسبق ومثله دار للبارودي وبعدهم دور جميلة متفاوتة وفيها الجوامع الكثيرة من الكبار الهيئة واكبر واجمل ما يكون جامع بني اميه وهو متسع مبني على عواميد من رخام شاهق مسقوفة منقوشة بالذهب الوهاج وجدرانه ملبسة بالزلج الملون وفوق المحراب والمنبر قبة مطرزة بالذهب الوهاج مكتوب بيت شعر لا يعرف قائله والمدعين فيه كثيرون ولم نسمع انه ثبت لاحد وهو

كل من تلقاه يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

وفي جانب الجامع مدفون سيدنا يحيى عليه وعلى نبينا افضل الصلوة واتم التسليم وله اربعة ابواب احدها شاهق البناء بالعقود والاقواس عظيم الهيئة مطرز بالذهب الوهاج شاماً ومقابله شرقاً باب فيه بركة بشذروان عظيم يضع البطيخ وزن ثلاثة اقات على ماء الشذروان يرفعها الماء من قوته ثلاثة امتار وتبقى البطيخة طالعة ونازلة وترى الجامع من عهد دولة بني اميه كانه جديداً ولذا سمي جامع بني اميه وفي وسط البلاد قبور كثيرة للصحابة منهم سيدنا بلال ومنهم الستة الحفظه وخلافهم رضي الله عنهم اجمعين وفيها الاولياء والانبياء وفي جانب الشام في سفح جبل الصالحية محلة الاكراد وهناك مقام سيدي ذو الكفل وسيدي محي الدين بن العربي وسيدي عبد الغني النابلسي والامام بن مالك وسيف

الجبل مغارة اهل الكهف رضي الله عنهم اجمعين واهل دمشق فيهم العلماء والمحدثين والادباء والشعراء اهل دعابة وخلاعات لم يمل الانسان من مجالسهم وحولها البساتين والكروم وفيها الاشجار وجميع انواع الفواكه من كل شيء اطيبه هذا ما تيسر من الاطلاع على ما في دمشق الشام وبعد تمام الفرجه توجهنا الى حمص وهي بلدة متوسطة في البناء والحجم وفيها الاشجار والاثمار وفيها العلماء والادباء وقد حازت الشرف الاكبر بوجود ضريح سيدنا خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه ومنها الى حماة وهي متوسطة في البناء والحجم اهلها فيهم الادباء والشعراء كثيرة الاشجار والاثمار يصب في جانبها نهر العاصي ومنها الى طرابلس الشام وهي بعيدة عن اسكلتها نصف ساعة متوسطة البناء والحجم كثيرة الاثمار وفيها العلماء والادباء والشعراء اهلها اهل دعابة وخلاعة وشطح رقيقون المزاج واغلبهم يهوى الجمال ويعشق الملاح مستندين على قول القائل ان الله جميل ويحب الجمال · ومنها الى اسكندرونة اسكلة حلب الشهباء وهذه اوصاف بيت المقدس ودمشق الشام وجزائر سوريه

فصل فى وصف عاصمة اليونان الى جناقلعه

ومن اسكندرونه ركبنا الوابور ووصلنا اسكلة اليونان بيره وركبنا الشمندوفر في ربع ساعة وصلنا عاصمتها اثينا وحيث وصلنا ركبنا عربية الى مركز حشمتلو القرال جورجي وقابلناه وصار

بيننا وبينه محادثة باللغة التركية اثنى فيها على سلطان الترك وعساكره المظفرة ثم ارسل معنا من يفرجنا على بستان سراياه وعلى انتيكخانته وعلى البلد فبستانه جميل لا يمدح كثير ولا يذم وانتيكخانته من اوسط انتيكخانات اوروبا والعاصمة على الانتظام الجديد مع انتظام الشوارع والاسواق ثم مر بنا على محل مهيّ من اجمل ما يكون صاحبه صرف عليه نصف مليون فرنك ووضع فيه بقدر نصف مليون فرنك من العملة القديمة من الذهب والفضة اعده للمتفرجين من السواح وغيره وبعد تمام الفرجة رجعنا الى الاسكلة وقام بنا الوابور وفي الصباح وصلنا ازمير وهي مدينة في سفح جبل مستطيلة عليه بنائها وبنائها متوسط خلاف الطرز الجديد كثيرة الاشجار والخيرات يرد اليها الارزاق من اناطول وخلافها مثل الزبيب والتين واصناف الحبوب والقطن والدخان وخلافها من الاصناف ويشترونها التجار ويرسلون اكثرها الى اوروبا ويأتي من اوروبا بدلها البز الغالي من اصناف الاقمشة والبلور والصيني وغير ذلك رخيصة الاسعار من اعظم بلاد العثمانيين وفيها مكاسب عظيمة وفيها كثرة الفواكه ولما تمت الفرجة توجهنا ومر بنا الوابور على مدينة ساقز وهي كثيرة الاثمار والاشجار لا سيما شجر المستكا المسمى باللغة التركي ساقز يجلب منها بالكثرة الى المدن الثانية واهلها يتقنون معاجين الحلويات بانواع مختلفة واكثر اهلها مسيحيون

ثم منها الى جنا قلعة وهي بوغاز الاستانة العلية التي تمر منها البوابير والسفن نهاراً فقط وفي اول البغاز بـلدة صغيرة متصرفية فيها مأمور من طرف الدولة العلية يفتش كل وابور يمر عليها ثم يعطي الرخصة للمرور وهذا البغاز محصناً من الجهتين بالقلاع والبروج والاستحكامات المشحونة بالمدافع الجيدة من الطرز القديم والجديد ومحاطة ايضاً بالتربيل والمهلكات البحرية ثم منه توجهنا الى الاستانة ولما شاهدناها حازينا من جهة اليمين باربع اظوات اعني جزر متقابلة في وسط البحر وهي جميلة البناء جيدة الهواء كثيرة الاشجار والازهار حسنة الموقع احدث في احداها صديقنا الفاضل ياور شهريار الفريق المحترم محيي الدين باشا ابن العالم المحدث من حوى السيف والقلم المرحوم الغازي الشيخ عبد القادر بستاناً لا يسمح الزمان بمثله وربنا يتمه والاظوات منتزه لأهل الاستانة في الصيف ومنها حازينا الاناضول من جهة اليمين اولها قاضي كوى بديع البناء جيد الهواء ومنه بعد ربع ساعة ماشياً الفنار منتزهٌ لأهل الاستانة في الصيف ومنه حيدر باشا مركزاً للشمندوفر المتوجـه الى الاناضول ومقابله ميداناً يسمى الشمير محاط بالاشجار اخضر من العشب كانه الزمرده منتزهٌ في ايام الربيع ومقابله خستة خانة عظيمة للدولة ويليها قشلة السليميه جيدة البناء من ابدع ما يكون ثلاثة طبقات مربعة الشكل تسع ستة عشر الف من الجنود ومنها الى اسكدار

وهي متصلة بالجامليجه المنتزه لاهل الاستانة وفيها بستان يسمى ملله بغجسي للمتنزهين وهناك شارع يمتد وفي اوسطه بستان من اعجب ما يكون بالاشجار والازهار والاثمار والرياحين وفي اوسطه قصور واكشاك منتزهات يسكنه صديقنا عطوفتلو سيادتلو الشريف حيدر بك وشقيقه المحترم سعادتلو الشريف جعفر باشا حفداء المرحوم امير مكة سابقا الشريف عبد المطلب متعهم الله ببقاء انجالهم الكرام ثم ترجع الى اسكلة اسكدار منها الى قوزقنجق واكثر سكانها اليهود ويليه بكاربك وفيها سرايا عظيمة متوسطة الحجم لم يسمح الزمان بمثلها ومتصلة باكشاك يتبع بعضها بعض الى رأس الجبل وفيها بستان فيه من الاشجار اجملها ومن الاوراد اطيبها ومن الزهورات انفسها ومن الرياحين وهي منتزه من اجمل ما يرى كثيرة المياه مملوءة من اجناس الحيوانات وانواعها المختلفة من سباع وهوام وطيور ومواش ومن جميع الاجناس واغلبها موضوع في قفصان من حديد وفي الاسكلة مسجد بمنارتين من اجمل ما يكون وبعده سرايا مقيم فيها نجابة يوسف عز الدين افندي نجل المرحوم السلطان عبد العزيز ومنها الى شنكل كوى فيه مكتبات لتعليم اولاد استانبول جميع العلوم من اكبر ما يكون ويليه القندلى وهناك سرايا منتزه لعديله سلطان من اجمل ما يكون في اعلى الجبل ولها بستان من اعظم ما يرى وعلى طرف البحر منتزه لها شبث فيه الغاز فغضبت

السلطانه على تلك السرايا والمنتزه من منذ سنوات بجميع ما فيه
من الامتعة والمفروشات ولم تدع فيه الا الحرس ويليها البيك
وبعده اناطول حصار وبينها ميدان يشقه نهر وفيه للسلاطين
ثلاثة اكشاك يتلو بعضها بعضاً وهي منتزه ويليها القاناجه و بستان
باشا ويليها بيقوز وفيها سرايا منتزهاً للسلاطين ولها ميدان
عظيم مملوءة بالاشجار يجري بينها نهر صغير وفي اوسط الربيع
تجتمع اهالي الطرب والملاعيب اكثرها اهل الاستانة يتفرجون
ومنها الى ينكي كوي وهو اخر البوغاز من جهة الاناطول وهناك
في اعلى الجبل مقام لنبي يوشع عليه السلام هذه جهة اناطول
وتراه من الاول الى الاخر في الربيع والصيف كالزمردة الخضراء
حيث انها كلها منتزهات ويقابلها الروملي اوله البوغاز اسكلة كوملك
كوي ويليه ساريار وفيه شعب كان يخرج منه معدن متنوع من
جهة الجبل ومقابله في الجبل منتزه عظيم فيه الات الطرب
بالتركي مجتمعاً المتنزهين في يوم الجمعة والاحد في ايام الصيف
والربيع ويليه بيوك دره وهي بيوتا بديعة منتزهاً للبشوات وتجار
الافرنج وبعض السفراء ويليها طرابية يسكنها الافرنج وهناك
منتزهات لجميع سفراء الدول ويليه بكى كوى ثم امريكان وفيها
سرايا من احسن ما ينظر ايجاد خديوي مصر سابقاً اسماعيل باشا
ولها بستان في غاية الاتساع وفيه اكشاك كثيرة متسلسلة من
البحر الى رأس الجبل وبين امريكان دار من اعظم ما يرى

وفي الوسط كشك منتزه ومقابلها دائرة من اجمل ما يكون
بينها بستان مشتمل على الاشجار الغريبة والازهار المتنوعة والورد
والرياحين غرسها على الترتيب وهذا المكان مشرقاً بانوار دولتلو
سيادتلو الشريف عبد الاله باشا متعه الله بسلامة سعادتلو نجله
الشريف سالم بك المحفوف ببركة السالمين البدريين وفي اسكلة
استان كوى ساكناً داراً من اجمل ما يكون مقابلها دائرة من
احسن ما يكون بينها بستان مغروس بالاشجار النفيسة والاوراد
البديعة يسكنها عطوفتلو الشريف حسين باشا بن المرحوم
الشريف علي باشا بن عون متعه الله بسلامة اهل السعادات انجاله
الاشراف الكرام ومنها بويه جي كوى ويليه روملي حسار ويليه
قرى جشمه وفيه دار المرحومة زينب هانم ويليها دار المرحوم
حليم باشا اولاد عزيز مصر محمد علي باشا ويليهم دار فخامتلو
دولتلو البرنس عباس حلمي باشا وكل دار منها بالاتقان العجيب
والمنظر البديع مشتملة على بساتين متنوعة اشجارها وازهارها
ورياحينها ثم الى ارناود كوى ويليه اسكلة قوي جشمه وفيها
سرايا لاحد بنات الملوك ومنتزه لشيخ الاسلام ويليها سرايتين
عظيمتين في غاية المنظر والزينة ببساتين واكشاك في رأس الجبل
يسكنهن بنت امير المؤمنين وبنت السلطان عبد العزيز ويليه
دار واسعة الاطراف منتظمة الشكل فيها بستان فيه اكشاك
متصل بعضها ببعض تنتهي الى ذروة الجبل بالاشجار والازهار

والمياه لدولتلو حسن باشا ناظر البحرية ومنها الى اورطه كوى وفيها جامع بقبة واحده صغيرة الحجم بمنارتين وبابه الى بشكطاش بينهما سرايا مقسمة الى دور كثيرة بينهما بساتين فيها انواع الاشجار والاوراد والازهار والرياحين من اجمل ما يكون ايجاد السلطان عبد العزيز على البحر والجهة الاخرى بستان الى اليلدز واليلدز سرايا عظيمة انشأها امير المؤمنين السلطان عبد الحميد وهو مقيم بها مساحة دائرها مقدار ساعة وهي في غاية الاتقان وبنائها من اجمل السرايات وداخلها ميدان كبير فيه بستان بالاشجار الغريبة والاوراد والازهار مختلفة الالوان والرياحين الزكية مغروسة باتقان بديع ويجري داخلهـا نهر صغير يصب في بركة من اعظم البرك وفيهـا وابور صغير للتنزه وعليها كوبري من الحديد البولاد الخفيف بالنقوش الذهبية من ابتداء البركه الى اخرهـا ويقابلهـا جامع ايجاد السلطان عبد الحميد وفيه ميدان متسع ينتصب السلاملك فيه يوم الجمعة من المشاة النظام والضابطة والبوليس والطوبجية والخيالة السواري وترى الخيالة راكبين خيلاً كالاسود وهم عليها كالعقبان شاكين السلاح ترى الشجاعة تلوح في اعينهم تصدح الموسيقى العسكرية بينهما ويصير ازدحام الزائرين والمتفرجين واذا قرب وقت الصلاة تصدح الموسيقة الخاصة من جميع الموسيقات ويخرج امير المومنين راكبا عربيته لاداء الصلاة

وعند دخوله الجامع تصيح العساكر مع المتفرجين باعلى صوتهم ثلاث مرات افندمز چوق يشا وبعد الصلاة يأذن للجنود بالانصراف ويركب عربيته متوجهاً الى التخت العامر محفوفاً برعاية الله سبحانه وتعالى وتحت يده نصره الله من العساكر المنتظرة اوامره ونواهيه ثمانية الايات كل الاي ستة وثلاثون الفاً بضباطه وما يتبعه شاكين السلاح ويتبعهم تحت الطاب الرديف عددهم مثلهم ورديف الرديف عددهم مثلهم والمستحفظ عددهم مثلهم واما العشائر وقبائل العربان التي تنتظر اشارة من جلالته لا يحصى عددها فنصره الله وادام عزه وايد ملكه بجاه سيد المرسلين واما عدد ما في مملكة المحروسة من النفوس التي تدفع كل سنة الويركو فستة وثلاثون مليوناً والذي غاض النظر عنهم ومعفواً عنهم ولا يدفعون ويركو مثل اهل الحرمين والحجاز ونجد وبعض عرب اليمن وبعض عرب الشام ومن خارج بغداد وجانب من الاكراد فعددهم اثنى عشر مليون ويقابل السرايا اليلدز يني محله يسكنها اتباع افنديناً مثل صديقنا سماحتلو وكيل الفراشة وشيخ خطباء المدينة المنوره السيد ابراهيم اسعد وهو في دار بثلاثة عزل من احسن ما يكون وسطها بستان بالاشجار والازهار وفي صدره ديوان وحوض ماء بشذروان وحوله الرياحين من احسن ما يكون متعه الله بذلك ويليه خاصة خدمة السلطنة ومنها تنحدر وفي نصف الشارع تكية اعني زاوية للصلاة والاذكار ومقابلها بستان

من ابدع ما يكون مشتملة على البساتين بانواع الاشجار والازهار والورد والرياحين امر بينائها افندينا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد من جيبه الخاص لصاحب الرشاده مولانا حضرة الشيخ محمد ظافر وامر له بالكفاية وبترتيب ائمة ومؤذنين وشيء الدراويش ربطه على اسم حضرة الشيخ ظافر نصره الله ودام احسانه ثم يمتد الشارع من بشكطاش وهناك شارع فيه بيوت متقابلة كانها سرايا اجداد السلطان عبد العزيز وفي آخرها بيت لاحد الوزراء سابقاً آل الى الدوله الان يسكنه صديق لنا ساحتلو الشيخ حمزه ظافر افندي ثم رجعنا الى الطريق وهناك ضولمه باغجه وفيها هناك سرايا على شاطئ البحر وفي الجهة الثانية بستان مغروس بالاشجار والازهار والاوراد والرياحين على الترتيب وفي اوسطها سلاملك للاعياد لم يسمح بمثله الزمان انشاء السلطان عبد المجيد ومقابلها معتلياً دار من اجمل ما يكون بديعة المنظر تكشف على البحر وعلى سرايا ضولمه بغجه في اوسطها الورد والياسمين والزهر والرياحين يسكنها العالم الفاضل الشجاع الهمام سيادتلو دولتلو السيد فضل باشا واكبر انجاله الكرام سعادتلو السيد سهل باشا متعنا الله بحياة الجميع ومنه شرقاً نيشان طاش اوجد فيه امير المؤمنين بناء عظيماً متيناً خمسة طبقات محلاً لوضع مهمات وسلاح عساكره الخاصة ويليها سرايا الوالده ودواير الوكلاء متتابعة صفين على الشارع الى التقسيم وهناك قشلاً من اعجب ما يكون

للخيالة السوارية وفي آخرهم تطل على بشكطاش قشلتين ومكتب لاهل المزيكة الخاصة ثم ترجع الى بيك اوغلي وهو ممتد من التقسيم الى عزب قبسو وهو من احسن الابنية منتظماً بالشوارع والاسواق فيها المغازات والبنوك والاوتيلات واللوكاندات والبيوت الجميلة مقابل بعضها بعض كانها سرايات يسكنها جميع سفراء الدول وتجار الافرنج ومن اعجب ما فيها المكتب السلطاني ايجاد السلطان عبد العزيز يسمى غلطه سرايا ثم ترجع الى ضولمه بغجه تنحدر الى جامع الوالده بقبة واحدة ومنارتين وهو اول قباطاش وفي اول الفندقلي دار عظيمة لصديق لنا صاحب السعادة والمجد والكرم ياور شهريار والفريق المعظم محيي الدين باشا واخر الفندقلي سرايا عديله سلطان ويليه الطوبخانة وفي وسطها جامع بقبة واحدة بمنارتين من اجمل ما يكون ويقابلها قشلة كبيرة للطوبجية متصلة بمكاتب كبيرة فيها تلامذة يتعلمون الاشياء المتعلقة بالطوبخانة ومنها الى الغلطه ممتد ويأتيك على الشمال قرب البحر يرلي التي جامعي بني في وقت جيش الصحابة الاول في خلافة سيدنا علي بناه سيدنا سفيان بن عيينه وقيل معه عمر بن العاص ووهب بن عشيره وسيدنا سفيان مدفون في طرف الجامع جنوبا وهناك مدفون صحابيين يقال وهبه بن عشيره وعمر بن العاص ولكن هو مدفون في مصر وبعد برهة عرب جامع بني في زمن جيش سيدنا معاوية بين الجامعين يمتد كوبري اعني جسر من الغلطه الى استانبول

ومقابل الكوبري من جهة الغلطة تونيل اعني عربيات تمشي من تحت ارض الغلطه الى اعلى جبل باك اوغلى من غار يسير في سرعة وتمتد الغلطـة الى غرب قبسو وهناك يمتد كوبري ثاني من الحديد الي الاستانة وهناك في غرب قبسو قشـلة فيها عساكر اطفاء الحريق ويليها قاسم باشا وفيه مسجد بمنارتين ويليه كشك وقشلة ومكاتب من اكبر ما يكون لتعليم مسائل البحرية والصنائع المتعلقة بالترس خانة والترس خانة هي التي يعمل فيهـا الوابورات والآلات المتنوعة ويليها محلة يسكنها كثير من يهود الاستانة ويليها قمبل خانة ومنتزه لاهل الاستانة في ايام الربيع مشحون بالاعشاب الجميلة والاشجار يسمى كاغدخانة ويليها الايوب محلة وفيها ضريح سيدنا ابو ايوب الانصاري الذي قال فيه الشاعر

بيت سعدت بلاد الروم لاحلها وتشرفت بضريحه المتشيد

فاسمه خالد بن زيد ولكن اشتهر بكنيته وهو من قدماء الصحابة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته وقـد نزل النبي في داره عند هجرته فاقام عنده حتى بنا بيته ومسجده وقد حضر رضي الله عنه اكثر الغزوات مع الخلفاء الاربعة ومع سيدنا معاوية وابنه يزيد وتوفي رضى الله عنه بالقسطنطينية من ارض الروم سنة واحد وخمسين او اثنان وخمسين ويلي المحلة المسمات به الايوب ايوان سرايا كانت في داخل السور وهي الآن فابريقة للطرابيش ومفروشات السرايات وما اشبه ذلك وهناك

اول سور الاستانة وهو على الدائر من لاربعة الجهات براً وبحراً الموجود ومحل المدثر مساحته مشياً على الاقدام اثني عشر ساعة ثم تركب في بحر الايوب الى الكوبري وتخرج الى يني جامع وهو بقبة واحدة متسع شاهق بمنارتين من اكبر ما يكون بديع الاتقان ثم تمشي الى باب عالي وهو متسع جداً فيه دائرة صدر اعظم ودائرة ناظر الخارجية وناظر الداخلية ودوائر شورى دولته وغيرها من الدوائر ويليها اندرون سرايا اعني اسكي سرايا وهي سرايا قسطنطين الخامس سورها على الدائر براً وبحراً مسافة ساعة وثلث للماشي وابوابها براً وبحراً ثمانية وداخل السور المذكور سور ثاني وداخله سور ثالث ايضاً محل الخزينة الخاصة المشتملة على مجوهرات الدولة والذهب الابريز والفضة الخالصة وسيوف الخلفاء وخلاف ذلك من النفائس وفي السور الثاني سرايا مخصوصة مسكنى للسلاطين من عهد السلطان محمد الفاتح الى زمان السلطان محمود يسكنون هنالك وكان في القديم جميع الدواوين والوكلاء والوزراء والحكومات داخل السرايا المذكورة وفي السور الاول الخدمة الخاصة من الاغوات البيض والسود والعساكر الحرس واول من اتخذ سرايا خارجها الغالب السلطان عبد المجيد وفيها كنيسة للقسطنطينيين قبة واحدة الان مملوءة من السلاح القديم الانتيكة وفيها انتيكخانة ومفرج خانة وبينها قبور القسطنطينيين من الرخام المحفور كل قبر غطاه لوح من الرخام وفيها مكاتب

ايضاً وفابريقات وقشلة لعساكر الحرس وجامع كبير وفيها بستان كثير الاشجار القديمة ويلي هذه السرايا من جهة باب السلطنة جامع آيا صوفيا وهو في غاية الانقان من اكبر الجوامع بقبة واحده شاهقة مركبة على عواميد من السماق والمرمر الصافي ثلاث طبقات الاول ساحة المسجد وفيها المحراب والمنبر من ابدع ما يكون والثاني يصلي فيها يوم الجمعة حين الازدحام والثالثة دائرة على القبة للمتفرجين ولها عشرة ابواب واربعة منابر ومقابلها قبلة وجنوب ضربخانة يضرب فيها النقود للدولة الفضية والذهبية والنحاسية ويليها دائرة الاوقاف ودائرة العدلية ويليها محكمة التجارة وامام هذه الدوائر وجامع آيا صوفيا ميدان متصل بقشلة كان يشتغل فيها السيوف ويمناً وجنوباً جامع السلطان احمد بقبة واحدة شاهقة البناء متسعاً بستة منارات شاهقات ودائر هذا الميدان مغروس اشجار ومقابله شاماً نظارة دفتر الخاقاني وخستة خانة عمومية وحبس خانة وفي اوسطه مسلتان مرتفعتان شاهقتان مركبتان بالحكمة والانقان في اربع جهاتها خط مجسم بالهرقلي الجغرافي القديم على شكل السمك والطيور وغيرها يقال ان الافرنج في زماننا هذا ترجموها الى لغتهم ويلي هذه المسلات بستان بالاشجار والازهار فيه قرائتخانة للمتنزهين يسمى ملت بغجه سي الصغيرة ثم تمشي في الشارع المسمى ديوان يولي وفي اوله شرقاً مركز مشير الضابطية والبوليس ودوائرهم ثم يمتد هذا الشارع الى قبة فيها

ضريح السلطان محمود والسلطان عبد العزيز رحمهما الله ويليها المكتب الملكي ثم دائرة المعارف ويليها جنبرلي طاش وهو عامود شاهق مطوق بحديد ويقابلها المطبعة العثمانية موجود فيها مدير جريدة الكوكب العثماني محمود افندي زكي

ومن هناك تعرج على شارع يمتد الى سرايا فيها دائرة النافعة ودائرة الزراعة ويليها مقابل دائرة صندوق تقاعد العسكرية ويقابلها دار سفير العجم ويليها سرايا صندوق الديون العمومي ثم ترجع الى شارع ينتهي الى جامع نور عثماني وهو بقبة واحدة متوسط في الحجم بمنارتين شاهقتين ولكن من اتقن الابنية واحكمها بثلاثة ابواب ويليها سوق الجارشة الكبيرة وهو مشتمل على اسواق كثيرة متداخل بعضها في بعض مبنية بالحجارة لها قبب واقواس وعقود مركبة على عواميد ملبسة سطوحها بالرصاص وعلى دائرها سور باثني عشر بابًا تفتح الساعة الثالثة نهارًا وتغلق جميعها الساعة احد عشر نهارًا وفي اوسطها سوق بقبة واحدة له اربعة ابواب تفتح الساعة اربعة نهارًا وتغلق الساعة تسعة نهارًا الا يوم الاحد والجمعة مغلوقة وهذا السوق كان قديمًا محلا تضع فيه اهالي الاستانة الجوهرات والنفايس خوفًا عليها من الحريق واما الان فقد صار مكان لبيع السلاح والاواني من الذهب والفضة حيث كثر وفود الاجانب وزاد انتشارها في الاستانة فبعد هذا لم تأمن الاهالي على تلك النفائس والجوهرات وبعد

اقسام الفرجة على هذا السوق العظيم اجتمعت باحد اعيان التجار واحد اعيان كتاب الباب العالي فسألتهما كم تبلغ دكاكين هذه الاسواق المتصلة بعضها في بعض بسور واحد فاجاباني بلسان واحد الذي يؤخذ عليه الويركو للدولة كل سنة اثني عشر الف دكان وقال لي الافندي الكاتب انا مقيد الايراد الذي يأتي منها ولكن فاتني ان اسئله عن مقدار هذا الايراد في السنة الواحدة ويليه جامع بايزيد وهو متوسط في البناء بمنارتين واربعة ابواب ويليها غربا دار من اجمل ما يكون يسكنها سعادتلو احمد باشا العدناني ابن امير مكة السابق الشريف عبد المطلب متعه الله بانجاله الكرام ومقابله سر عسكر وهو في غاية الاتساع وفي وسطه دائرة سر عسكر ودائرة العسكرية وفي جانبه الشرقي قشل للعساكر والموسيقة وفي اوسطه منارة شاهقة مرتفعة على الاستانة معدة للاخبار عن وقوع الحريق ومقابلها في اعلى الغلطة منارة مثلها فاذا حصل حريق يشار من المنارتين ويضرب ثمانية مدافع ثم تجد الحرس في لحظة واحدة يتفرقون في جميع الجهات ويصيحون في اعلى اصواتهم (يانقين وار) اي موجود حريق ويذكرون اسم المحلة الموجود فيها الحريق ويلي باب سر عسكر سرايا صدر اعظم اسبق علي باشا ساكن فيها بنات افنديتا جنوبا وشرقا يليها جامع السليمانية بقبة واحدة معتلية من اكبر ما يكون باربعة ابواب واربعة منابر وله ميدان على

الدائر عظيم ومحيط به مدارس والسلطان سليمان مدفون خارج المسجد من جهة المحراب ويليه باب شيخ الاسلام وهو من اكبر ما يكون واجمل البناء محتويا على دائرة شيخ الاسلام ومنزله ودائرة الفتاوى ودائرة التدقيقات ودوائر كثيرة ويليها شاما دائرة المالية محتوية على دوائر كثيرة ويليها سرايا زينب خانم ويمتد من هناك شارع الى شاه زادات جامع عظيم بمنارتين واربعة ابواب وله ميدان على الدائر ودائره مدارس ويليه مرمرطاش وهو عامود مرتفع ويليه سراج خانه ويليها عامود طاش ويليه جامع السلطان محمد الفاتح وعلى الدائر ميدان كبير على دائر الميدان مدارس واربطه وهذا الجامع مملوء بالعلماء وطلبة العلم وله منارتين واربعة ابواب ومنه الى خرقه شريفه جامع بقبة صغيرة بمنارتين وبابين ومن هناك يمتد شارع الى باب ادرنه وهناك جامع عظيم من بناء السلاطين القدماء متقنا مركبا على عواميد من مرمر سقوفه منقوشة بالذهب الوهاج وارضه مفروشة بالحجر الرخام المربع يسر الخاطر والان هو مقفول لا يصلى فيه اه اه اه ثم نرجع سائرين في شارع ممتد الى جامع السلطان سليم وهو متوسط بقبة واحده ومنارتين وبجانبه مدفون السلطان عبد المجيد هذه جوامع السلاطين الكبار واما جوامع والدات السلاطين والوزراء فكثيرة في الاستانة وما يتبعها ايضا نحو عاغابة جامع وزيادة لاصحاب الخيرات ونحو اربعماية زاوية اعنى تكه ونحو

اربعمائة كتبخانة ومدارس واربطة واما حمامات الاستانة وما يتبعها من البوغازات فالذي اطلعنا عليه مائة وخمسين حماماً وما لم نطلع عليه فاكثر من ذلك واكثر خدمة الحمامات من الغلمان الحسان اعاذنا الله واياكم من فعل الشيطان وفي الاستانة من الحور العين ما يدهش الناظرين خصوصاً في شهر رمضان حيث عادتهم يتمشون بعد العصر في ديوان يولي من آيا صوفيه الى شاه زادات البعض راكبين عربايات يمشون في وسط الشارع والبعض يمينًا وشمالاً يتمشون حول العربات مختلطين حوآء وادم الى قرب الغروب ولذلك القابض على دينه في الاستانة كالقابض على الجمر ولما شاهد الافندي عمر بالي المدني ذلك المنظر البديع تمثل ببيت ٠

عيون المهامن بايزيد الى الكوبري جلبن الهوآء من حيث ادري ولا ادري

وفي الاستانة من المكاتب العلميـة والادبية والمعارف والعسكرية ولجميع العلوم المتنوعة والالسن المختلفة نحو مائتين مكتب ومن ملحقات الاستانة ومنتزهاتها من جهة باب يدنجي قله الذي بقرب بارود خانه حيث يصنع فيهـا ملح البارود للمدافع وغيرها منتزهات لايام الصيف مقرى كوى ومنها الى استفانوس هذا ما وسعنا ذكره واطلعنا عليه في الاستانة العلية وملحقاتها القريبة وما فيها من العجائب وان القلم يقصر عن الاحاطة بجميع مشتملاتها وسكانها يبلغ عدد نفوسها ما يزيد عن مليون

باب في تكميل السياحة الى الفرجه على عواصم اوروبا

ثم سنح لخاطري تكميل السياحة بالنظر الى عواصم اوروبا وممالكها فركبت الوابور من الاستانة في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٠٧ هجرية وسار بنا حتى وقف على اسكلة في الاناطول تسمى باندرمه وهي بلدة متوسطة فيها اربعة جوامع واهلها في غاية الديانة متمسكون وهي بلدة خصبة كثيرة الخيرات كثيرة الفواكه ويقربها جبل صغير من المروا الابيض الذي هو شبه الرخام واكن اصفا بياضاً تسلط عليه الانكليز فصار يقطع حجارة ويرسلها الى ممالك اوروبا فيصنعون منه الصيني واللمبات وغير ذلك ويدفع الدولة مقابلاً لذلك شيئاً معلوماً ثم توجهنا مقابلاً في الروم ايلي اسكلة تسمى تكرداغ متوسطة البناء كثيرة الارزاق كثيرة الخيرات يرد اليها اصناف الحبوب والرز والزيتون والزبيب والتين والقطن والدخان وغير ذلك من اراضي الروملي ويشتروها التجار ويرسلوها الى اوروبا ثم قام بنا الوابور ومر على جنا قلعه ولم يزل سائراً حتى توسطنا من البحر الابيض بين سماء وماء وثاني يوم لاح لنا ثلاث جزر سكانها الاروام ولما ان حاذينا جزيرة منها رأيت الوابور قد قصر في مشيه حتى كأنه وقف ورفع اشارة السلام وضرب الناقوس فاجابه من دير في الجزيرة برفع اشارة السلام وضرب الناقوس ثم مشا بنا الوابور فسئلت القبطان عن ذلك فاجاب ان هذا الدير يسكنه راهب لم يخرج منه

ابداً من مدة اربعين سنة وكل وابور مسيحي يمر من هنا يفعل كما فعلنا لاجل صاحب الدير الراهب تبركاً وفي كل شهر يمر وابور بالارزاق والهدايا من مال المسيحيين وفي ثالث يوم وقف بنا الوابور على جزيرة كريد وهي بلدة عظيمة خصبة كثيرة الارزاق والفواكه جيدة الهواء عذبة الماء رخيصة الاسعار آه اه اه ثم قمنا منها وخامس يوم وصلنا جزيرة مالطه وهي منقسمة الى اربعة اقسام يدخل في اوسطها ماء البحر ولكن لا ينفذ وهي جميلة البناء بالحجر الاصفر في غاية الاتقان واهلها اخس خلق الله تعالى من المسيحيين وهي الان تحت ايادي الانكليز وجميع وابورات اوروبا تمر عليها ذهاباً واياباً لاجل اخذ الفحم ثم ركبنا منها الى مدينة تونس

فصل في اوصاف تونس الخضراء واهلها

اما تونس فحيث وصلنا الاسكلة ركبنا الشمندوفر اليها وهي على نصف ساعة ومن البحر يدخل خليجاً الى قريب تونس البحيرة فنزلنا في زاوية سيدي محرز عند ناظرها الكسراوي ثم بعد ثلاثة ايام استأجرت محلاً في سوق المر فورد علينا الاصدقاء هادي بك زروق وزارنا فضيلتلو عربي بسيس واخيه عربي محمد افندي ومعرف اهل الحرمين الشيخ احمد الجزائرلي وجميع من هناك من اهل الحرمين وساروا يترددوا علينا جزا الله الجميع عنا افضل الجزا ثم عزمنا هادى بك والعربي بسيس عزومة من

افخر ما يكون ثم ابتدأنا بالطواف بالبلدة لاجل الاطلاع عليها فاولاً زرنا سيدي محرز الولي المشهور وله جامع عظيم من اجمل ما يكون ثم مررنا بالحلفاوين وفيها جامع صاحب الطابع من اجمل البناء بقبة مركبة على عواميد المرمر مع النقوش الذهبية والارض مفروشة بالحجر الرخام ثم رجعنا الى اوسط تونس وهناك جامع الزيتونة المشهور وهو شاهق البناء سقوفه مركبة على عواميد من المرمر وارضه مفروشة بالرخام الجيد وهو من اكبر جوامع المسلمين متسع جداً وعلى طول الجدار القبلي خزائن مرصوفة على الدائر محتوية على الكتب النفيسة الجميلة الموقوفة من اهل الخير على طلبة العلوم وكتب خانه وقف من طرف بكوات تونس مملوءة من الكتب النفيسة لطلبة العلوم وفيه محراب ومنبر من اجمل ما يكون ولكن لهم عادة يجعلون المنبر داخل الجدار بيتاً على قدره فاذا كان يوم الجمعة يخرجونه على اربع عجلات له من بيته بعد ان ينزل الخطيب منه يرجعونه الى محله ثم يصلوا الجمعة وله منارة مربعة شاهقة في الهواء وفي اعلاها غرفة لاستراحة المؤذنين وقت الاذان لان الذي يصعد اليها اثنى عشر مؤذناً وقت الاذان يؤذنون كل اربعة معاً بصوت واحد الى ان يتمون الاذان ثم اذ ينزلوا من باب المنارة ينادون باعلا صوتهم ويكررونها من باب المنارة الى ان يصلوا قرب المحراب قوموا الى الصلاة والجامع المذكور مملوءة بالعلماء والطلبة العلوم واهل الاذكار

بخفض صوت ولا رقص ولا دبدبة فيه ولا يخلو المسجد ليلاً ونهاراً من المتعبدين وجوامع تونس المشهورة التي يقام الجمعة ثمانية المالكين وسبعة للاحناف وقد سئلت مدير صندوق جامع الزيتونة واوقاف الحرمين عن عدد جوامع تونس فاجاب بان الموجود في تونس من الجوامع والزوايا التي تقام فيها الصلوات والاذكار مائة وستة وثلاثون ويصب في تونس نهر يسمى زغوان مجلوب من جبل بعيد وبعد احتلال الفرنساوي فيها زاد في بنائها مقدار ثلث المدينة ابنية على الطرز الجديد متسعة الشوارع والاسواق وجعل في اوسطها منتزهاً يسمى البحيرة اعني بستاناً للنزهة مشتملاً على الاشجار الجميلة والازهار والرياحين وحيضان المياه وسطها الشذروانات وفي كل ليلة جمعة وليلة احد يخرج اهل تونس والاورباويين واهل المكاتب والمدارس يتمشون فيها والموسيقى تصدح بالالحان المطربة تفرجنا عليها ليلة الاحد ومعي صديق لي وجلسنا على كرسي من كراسي الميرية نتفرج على البحرية وبعد برهة من جلوسنا واذا قد مر بنا سرب ظبا وجوههن كالاقمار في سن الاربعة عشر ويتبعهن فرقة غزلان في السن المذكور بصورة ولدان حسان والكل خارجاً من المكتب فاندهشت من ذلك المنظر العجيب فقال لي صديقي ما قال فقلت له لا احسن الشعر فقال لا بد على قدر الامكان فقلت ٠ يا صاح ان شئت الملاح فسر بنا نحو البحيرة روضة الخلان

ان شئت غزلاناً في ساحاتها ظبيات مع غزلان مختلطان

وترى اهل تونس في ذلك الميدان لابسين الحال الحرير الشفاف حلة فوق حلة وبرانيس الحرير الشفاف وبأيديهم الشمام من الورد والياسمين يتمايسون في مشيهم تيهاً وعجباً وهم اهل عشق وصبابة ان يكن بقايا من قبيلة بني عذراء فهم اهل تونس الخضراء وفيهم العلماء والفضلاء والادباء والشعراء والتجار ومن ملحقاتها بستان على نصف ساعة في اوسطه سرايا من اعظم ما يرى تسمى باردو منتزهاً لبيكات تونس ومنها الى قرب السور بساتين متصلة ببعض متنوعة الاثمار والاوراد والازهار والرياحين ومن جهة البحر مسافة ساعة المرسى فيه الان سراية لفخامتلو دولتلو علي باي تونس وقريب منها بستان منتزه للباي وقدام السرايا ميدان دائره مدافع وضحاً وبعد العصر وبعد العشا تصدح المزيقه بالالحان الاندلسية من اعجب ما يكون وبعد برهة منها قصر مربع من اجمل ما يكون محاطاً من الجهات الاربعة باشجار الفواكه المتنوعة والورد والازهار والرياحين ايجاد محمد بك الخزندار والان موجود فيه رحيمه صالح بك ميرلوا عزمنا واكرمنا جزاه الله عنا افضل الجزاء هذا ما وصفنا من وصف تونس ومن ملحقاتها اسكلة (سفاقس) اكثر شجرها الياسمين يقطرونه عطراً ويبيعونه الى التجار فيفرقونه في البلدان وهو اجود العطورات ومقابلها جزيرة جربيه ومقابلها في الجهة الثانية القيروان محل ما خيمت الصحابة الكرام

لما فتحوا جهات تونس وفيها خطت مسجداً كبيراً جداً الان
بنائه من اعظم ما يوجد وفيه منارة شاهقة مربعة وامام المسجد
بركة من اكبر ما يكون يصب فيها نهر صغير مجلوب من
الجبال ويقسم من البركة الى جميع البلدة ومن ملحقات تونس
وادي جريد فيه عيون ونخيل شتى اجودها نخل يسمى الدقلة
ترى ثمرها صافياً حتى كأنك ترى النواة في بطنها من الخارج
وطعمها الذ من الحلوى وفي تونس الخضراء اجتمعنا باحد الشبان
الادباء الفاضل مليح الشمائل والاوصاف شبيه بدر التمام اسمه
محمد وناس اسم على مسمى واذا قلت سيد الناس لا تلمني ثم
توجه من تونس الى باجل ترجماناً ثم ركبت الشمندوفر لاتم
الفرجة على ملحقات تونس فوصلت بعد ساعتين الى بلدة صغيرة
وهي باجل المذكورة فوجدت محمد وناس المذكور ينتظرني في
المحطة وساعة ركبت الشمندوفر متوجهاً لباجل اخبره صديق
له بالتلغراف على توجهي الى باجل ولما ان وصله التلغراف في
الحال اتى الى المحطة بعربة ينتظرني فلما رآني سلم عليَّ وركبنا
العربة الى منزله العامر ولم يزل يحبني ويتلطف بي حتى حضر
الطعام والشراب فاكلنا وشربنا ثم جلسنا للمنادمة حتى وقت المنام
ولم ازل عنده في نعيم عيش ثلاثة ايام وفي باجل اجتمعنا
بواسطته بوجوه البلدة وبعدها استأذناه وتوجهنا الى الشمندوفر
وعند وداعه نظرت في وجهه ودموعه تذرف كاللؤلؤ على خد

كالمرجان فتمثلت بقول الشاعر

سارت مشرقة وسرت مغربا — شتان بين مشرق ومغرب

فاجابني وعيناه تذرف بقوله

اودعكم واودعكم جناني — واسكب ادمعا مثل الجمانِ

فلو نعطى الخيار لما افترقنا — ولكن لا خيار مع الزمانِ

فنسأل الله العظيم ان يجمعنا به في المدينة المنوره ويقدرنا على مكافآته بجاهه صلى الله عليه وسلم ثم سار بنا الشمندوفر ومر سوق الربوع ثم سوق الخميس ثم بغار جبل دماء حد تونس من جهة الجزائر وتونس وملحقاتها كثيرة الاشجار والاثمار والازهار والرياحين والاعشاب وسكانها وتوابعها مقدار مليونين ونصف

فصل في الجزائر واوصافها

ابتدأنا من اولها من جهة تونس من سوقها راس قرية صغيرة ثم الى مدينة عنابة على شاطىء البحر جميلة البناء على الطرز الجديد مشتملة على شوارع واسواق منتظمة فنزلنا في زاوية الشيخ عبد القادر واقمنا فيها ثلاثة ايام ثم عند ركوبنا الشمندوفر بعد ساعتين وصلنا قرية صغيرة تسمى قالمه فيها رجل صالح متعبد يعيش من العمر مائة وثلاثة وستين سنة فنزلنا فيها واتينا الى زاوية الشيخ وهي مسافة ربع ساعة خارج القرية فوجدناه في خلوة له مطلة على الزاوية فسلمت عليه فحياني رجل تام العافية سليم الاعضاء وبعد الصلوة تحدثنا معه فلم اجد في كلامه خللاً

لكبر سنه ثم دعاني الخادم الى الطعام فقلت له لماذا لا يأكل الشيخ معي فقال لي انه منذ زمان بعيد لا يأكل الطعام ولا يشرب الماء فسكت وبعد الطعام ذهبت الى الشيخ ثم تحدثنا برهة واذ بالخادم اتى له بزبدية مملوءة بلبن حليب فتناولها الشيخ وشرب منها وغطاها ولما جاء وقت النوم اخذني الخادم الى محل هيئ لي فسئلت الخادم ما الذي اتيت به الى الشيخ فقال لي كل يوم وليلة نحلب له من البقر في هذه الزبدية فيشرب منها حتى تفرغ ونملئها له ثانيا وهذا طعامه وشرابه ثم نمت وبعد القيام صليت الصبح معه ثم استأذنت منه في المسير وطلبت منه الدعاء وكان متقلدا بحفظة من الجلد كعادة اهل الغرب فادخل يده فيها واخرج منها صولدي قيمة عشر بارات واعطاني اياه ثم ادخل يده ثانيا واعطاني ربع ريال مغربي قيمته خمسة قروش صاغ واعطاني اياه وادخل يده ثالثا واخرج ريالا شينكو قيمته ربع ليرا فرنساوية واعطاني اياه وكلما تناولت منه شيئا وضعته في جيبي تبركا ثم رفع يده ودعا لي واسمه الحاج مبارك اسمر اللون فودعته وقد وجدته رجلا كثير العبادة مكبا على تلاوة القرآن وركبت من هذا المحل الى قسطنطينية فذهبت الى صديق لي فيها وهو يدعى طاهر عباس التونسي ولما وصلت اليه رأيت عنده ثلاثة من اعيان البلدة منهم امام الجامع الكبير فحبوني وانزلوني في محل معد للمسافرين فاقمت ثلاثة ايام اتفرج في هذه المدينة وهي قائمة على

سطح جبل منخفض بين جبال عالية وحولها وادٍ عميق محاطة
ببساتين كثيرة الاشجار والاثمار كثيرة المياه وغالب بنائها على
الطرز الجديد واهلها اهل شدة وباس واهل شجاعة وعند مسيرنا
منها ودعنا امام المسجد وصاحبنا وناولني الامام عرضحال وقال لي
اذا رجعت الى المدينة المنورة بالسلامة فارمي هذا في الحجرة
الشريفة فاخذته منه وركبت الشمندوفر بعد وداعهم الى عاصمة
الجزائر وهي مدينة على شاطئ البحر في سفح جبل وجميع اهلها
المسلمون ساكنون في الجبل من اسفله الى اعلاه وفي الجبل
قبة من اجمل البناء مزينة بالزلج الملون والنقوش الذهبية ومدفون
فيها سيدي عبد الرحمن الثعالبي المشهور وسائر دائر القبة بستان
كبير من اجمل ما يكون بالاشجار والازهار والرياحين متنزه
لاهل الجزائر وفيها جوامع كثيرة واسفل الجبل المحاط بالاسكلة
بنائه من الطرز الجديد يسكنه الفرنساويون واكبر جامع على
الاسكلة مشتمل على غرف للمفتي والقاضي والعلماء والمؤذنين
وجميع ايراد الجوامع والاوقاف والبلدة وباقي القطر كله يستلمه
الفرنساوي لنفسه ويدفع من عنده معاشاً لمن ذكرناهم ولغيرهم ولنا
في البلدة صديق يسمى الحاج عباس قدور دعانا الى داره وعزمنا
وعزم معانا اعيان البلدة وهي مدينة طيبة الهواء كثيرة الاشجار
كثيرة الخيرات عذبة الماء ثم توجهنا الى تلمسان
وهي في سفح جبل وحولها وادٍ مد النظر تصب فيه المياه كثيرة

الاشجار والفواكه الطيبة والازهار والمزروعات فاجتمعنا بصديق لنا السيد محمد الخراجي الفاسي وجمعنا بالمفتي فعزمنا الى داره واكرمنا وهي بلدة متوسطة البناء فيها قلعة وسرايا عظيمتان اتجاد المغفور له سنان باشا احد وزراء الدولة العثمانية وبعد ثلاثة ايام ركبنا الشمندوفر ودخل بنا في غار تحت جبل مقدار ثمانيـة دقائق وعند خروجه منه واذا بنهر ينصب من راس جبل شاهق املس مستوي الى فم الغار وعلى فم الغار جسر من حديد على هذه الماء المنسكب من ابدع منظر ووصل بنا الى مدينة وهران وهي اسكلة على البحر على جبل مسطح واكثر بنائها على الطرز الجديد مشتمل على الشوارع والاسواق والمسلمون مجموعون وحدهم في محلة كبيرة جيدة البناء واهلها متوسطون الجمال واجتمعنا بصديق لنا فيها اسمه ادريس العفير الرباطي عزمنا الى داره ومن العجائب رأيت في وهران على شاطئ البحر بعـد نصف ساعة عن المدينة جبل يصعد منه دخان الى عنان السماء وتشتعل فيه نار فسئلت اهل البلدة عن ذلك فقالوا انه من القديم على ما ترى واقمنا ثلاثة ايام فيها وقد وجدنا اهل الجزائر وما يتبعها اهل بأس وحماسة يبلغون عدد سكان الجزائر وجميع اتباعها اربعة ملايين وهذا ما امكن معنا جمعه من وصف الجزائر

باب في توجهنا الى الغرب الجواني مملكة مولانا الحسن

فلما ركبنا الوابور من وهران متوجهين الى مملكة مولانا

الحسن فوقف بنا الوابور ثاني يوم على اسكلة الفيرون وهي من
توابع الغرب الجواني وفيها من طرف حاكم فاس قائد يأخذ
الخراج وبينها وبين فاس اثنى عشر يوماً ولكن صعبت الطريق
من كثرة الجبال والقبائل التي مثل الفحول وهذه الاسكلة
نزل في جانبها من جهة البحر الفرنساوي وينازع الغرب الجواني
في كركها وفي ثاني يوم وقف بنا الوابور على اسكلة من اساكل
الاندلس تسمى ملقه التي تحت حوزة دولة اسبانيا وهي مدينة
عظيمة بناؤها على الطرز الجديد مشتملة على الشوارع والاسواق
والاشجار وفي وسطها جامع بقبة واحدة متطاولة مرتفعة على
المدينة كلها باربعة منابر وقد جعلها الان الاسبانيون كنيسة
وجعل منائرها محلاً للناقوس فدخلت فيها للفرجة واجتمعنا في
الراهب الذي فيها وحيانا ومشا بنا في نواحيها وفتح غرفة بابها
من البولاد مصفح بالفضة واذ فيها من العملة القديمة والاحجار الثمينة
واكبر ما رأيت فيها حجراً من الزمرد قدر بيضة القمري في غاية الصفا
ثم فتح غرفة ثانية وقشع ستائر الحرائر الاطلس الاخضر واذا
فيها صور الانبياء مجسمة وتحت كل صورة اسم صاحبها وفي اولها
اسم نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقلت للراهب من
اين لكم هذه الصور الذي كذبتم بها على الانبياء فاجابني باللغة
العربية من الانجيل القديم وانتم ايها المسلمين على حق لو تمسكتم
حق التمسك على سنتكم فتعجبت من هذا القسيس وفهمه العربية

وجوابه الشافي وخرجت منها وتفرجت على البلد وهي محاطة
من جهة البرية بالبساتين وفيها الجمال المفرط وبعده سار بنا
الوابور الى جبل طارق وهو بوغاز عظيم آخر حدود اسبانيا
محصن جداً من اسفل الجبل الى اعلاه على الدائر بالمدافع الكروب
الطرز الجديد وهو مسور بسور على الدائر وفيه بيوت واسواق
قليلة وفي اوسط الجبل صورة طارق من نحاس في وسط حوض
ماء يندفق الماء من فيه وانفه دائماً ويسقي بستان هنالك ومكتوب
على الصورة صاحب الجبل القديم اسمه طارق وهو اخضر الجلدة
واذا نظرت الجبل تراه من كثرة التحصين كانه شعلة نار وفيه
قليل من الاشجار والاثمار وهو بايدي الانكليز وتوجهنا الى طانجه
من الجبل وصلنا على ساعتين وهي اول اسكلة للغرب الاقصى
متوسطة الحجم في سفح جبل والبحر محيط باكثرها جميلة المنظر
وفيها يهود مفرطون بالجمال وجوامعها مملوءة بالعلما والطلبة واهل
الذكر وفيها قصر منتزه لسلطان الغرب ينزل فيه اذا اتاها وفيها
بيوت لجميع قناصل الدول وهي كثيرة الاشجار والمتنزهات في
الجبل نزلنا بها عند صديق لنا يدعى محمد بن عمر الفقيه الزباطي
ثم توجهنا سائرين في بحر الغرب وفي اول يوم وقف على اسكلة
تسمى العرايش ثم وقف على اسكلة الرباط وهي بلدة كبيرة
منقسمة الى قسمين بسبب دخول البحر فيها .. وهذه الاسكلة
اصعب الاساكل والبلدة متوسطة البناء اهلها اهل جمال رقيقين

المزاج اهل شعر وادب وعلم وفضل محاطة من جهة البر بالبساتين كثيرة الفواكه والخيرات ومنها الى اسكلة الدار البيضاء بلدة صغيرة ولكن اسم على مسمى فيها العلماء والادباء والشعراء ومنها الى بلدة صغيرة تسمى الجديده نزلنا فيها عند صديق لنا يدعى عباس العفير الرباطي له دكان عند باب البلد فجلسنا معاه واذا بالقائد عامل البلد ماراً وهو من عائلة بيت براده فسئل عباس العفير من هذا الرجل فقال عربي من اهل المدينة المنورة فاستأذن عباس في اخذنا الى داره فما وسع عباس الا قوله للقائد حباً وكرامة فاخذ القائد بيدي حتى وصلنا داره وكان الوقت رمضان فجلسنا وعند الغروب اتانا شيخ عالم من اهل الدعابة واتانا كاتب شاعر وبعد ان صلينا المغرب تناولنا الطعام وحضر الشاهي فكنا نتذاكر معاهم في الاحاديث والاشعار والادبيات وكان الشيخ في اثناء ذلك يلقي علينا من فمه الفاظاً وكلمات دعابة التي ترتاح اليها النفوس وبعد انتهاء المجلس اخذنا في المنام وفي الصباح احضر لنا جناب القائد بغلته وبغلة اخرى لخادمنا واصحب معانا من يثق به علينا الى عاصمة مراكش فسرنا في وادي كثير المزروعات والبساتين حتى ان جاء وقت العصر فررنا بسوق لهم مجتمعين فيه قبائل العرب حسب عادة العرب القديمة فبتنا هناك وعند الصباح توجهنا وسرنا في وادي مثل الاول فوصلنا الى قرية صغيرة فيها عين جارية تسقي بساتين فنزلنا فيها وعند

الصباح سرنا بين حرار وجبال صغار ومررنا على عيون ونخيل وفي المغرب نزلنا هناك وفي الصباح توجهنا وبعد مرور ساعتين انحدرنا من جبل صغير الى واد متسع مد النظر فرأينا مدينة مراكش من بعد ساعتين ووصلنا واد تصب فيه السيول وفيه نخيل لا يحصى عددها فجزنا هذا المكان على جسر وسرنا بين بساتين تسقى من عيون جارية مسافة نصف ساعة ودخلنا مدينة مراكش وهي مدينة قديمة مشتملة على شوارع واسواق بقرب حجمها من محروسة مصر وهي مفصلة شوارعها واقسامها كأن بناء الطرز الجديد الذي استعملوه الان الافرنج اخذين رسمه منها لانها بلدة عمارتها قديمة من تاريخ مايتين وثمانين هجرية لها الف سنة وكسور فابتدأنا بزيارة سيدي ابو العباس السبتي والسبعة رجال وسيدي الشريف محمد بن سليمان الجزولي ولي الله وسيدي القاضي عياض المشهور وكثير من السادات الاولياء ثم نزلنا في وكالة صديق لنا اسمه مصطفى الحنصاري الرباطي وفي العصر تمشينا في البلد وكان رمضان واجتمعنا في دكان مع وزير التشريفات الثاني ادريس بن يعيش فعزمنا الى داره فاجتمعنا بشنا كطسه ضيوفاً عنده متوجهين الى الحج وهو مأوى للضيوف فاحضر الطعام واكلناه معاً واذا هو طعام يؤكل خصوصاً اللحوم مطبوخاً ومنضوجاً ومشوياً والطيور والزقاليل والعصافير لهم في طبخها وشويها اتقان عجيب ويدهنوها بالزعفران والعنبر لم رأيت من

يتقن اللحوم مثلهم فبعد الاكل تذاكرنا مع الشناكطه في الشعر والاداب فسألني التشريفاتي هل معك مكتوب فقلت نعم معي مكتوب لمولانا السلطان حسن فاخذه مني وتوجهت الى محل ما كنت نازل وبعد الظهر واذا هم عليّ ببغلة فركبنا حتى وصلنا الوزير فانزلنا في دار تسمى رياض الزيتون ورتبوا لنا معونة كل يوم ثمانية مثاقيل فضة وفي ليلة سبعة وعشرين من رمضان ارسل مولانا السلطان حسن التشريفاتي الثاني ادريس بن يعيش وهو راكباً حصاناً عوداً اي جيداً وبيد خادم له بغلة مسرجة فقال ان سيدنا ومولانا السلطان حسن يدعوك ويأمر بحضورك عنده فقلنا تحت الامر حباً وكرامة فقدم البغلة الخادم فسرنا معاً حتى وصلنا السرايا المخزن بلغتهم فدخلنا الجامع الذي في وسطها وكان غروب المغرب واذ بمولاي الحسن مقبلاً فجلس في الصف الاول وراء الامام واخوه عن يمينه وعن شماله ابنه وهو جالساً على سجادة عادية مثل سجاجيد احدى الناس مع انه يقدر يجلس على الذهب الابريز ولكن فعله هذا تواضع منه ومن تواضع لله رفعه وعن يمينه وشماله الصف الاول كله من الاشراف والعلماء والصف الثاني كان من الوزراء وخدمته الخاصة فاجلسوني في هذا الصف والصف الثالث المدعوون من اعيان الاهالي وكان مولاي الحسن في هذا اليوم ختام تلاوة البخاري حسب عادته السنوية في رمضان وذلك انه يجلس امامه كل يوم في هذا

الشهر ثلاثون فقيهاً من علماء الحديث يستمعون له وبايديهم نسخ البخاري ومولاي الحسن يتلو عليهم حديث البخاري على ظهر القبب وفي اليوم السابع والعشرين يختم البخاري فصلينا المغرب ودخل سرايـاه والعلماء والوزراء والاشراف والمدعوون دخلوا مكاناً اخر معداً لهم وتناولنا الطعام ثم شربنا الشاهي وعند آذان العشا حضر مولاي الحسن الى الجامع فصلينا العشا وكانت الصفوف على ترتيب الاول ثم امر الفقهاء الذين كانوا يسمعون له الحديث ان يتقدموا و يصلي كل واحد منهم ركعتين بحزب حتى اذا فرغ الثلاثون فقيه ثم امر الامام ان يصلي التراويح وعند تمام صلاتها قام مولاي الحسن ودخل للمخزن اعني السرايا وكل دخل محله الاول فحضر الطعام للسحور فاكلنا وشربنا الشاهي وتوضئنا واذ بمولاي الحسن خارج الى الجامع فخرجنا جميعاً نتلوه فالتفت يميناً وشمالاً فرأى الجامع مملوء بالناس فشرع يتعبد بالصلاة منفرداً وقام كل من حضر يفعل فعله فما ترى الا قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً الى قرب الفجر الاول فامر الامام ان يصلي الوتر ثم جلس واقبل على التسبيح وبعد طلوع الفجر الاول صلوا صلاة الفجر وبعد برهة صلوا صلاة الصبح ثم جثا مولاي الحسن على ركبتيه وفي يديه سبحة فصار يسبح ولكن لا تسمع له صوتاً بل ترى الشفتين تتحركان الى الشروق ومن في الجامع ايضاً بقي معه ثم قام وصلى ركعتين الشروق ثم

توجه الى المخزن بلغتهم اي سراياه وانصرفت العالم وكان واقفا على الباب اثنان يمينًا وشمالاً قصارا كل من خرج كبيرًا او صغيرًا يعطيا اياه ريالاً شينكو فتوجهنا الى محلنا وفي يوم العيد خرج مولاي السلطان حسن الى صلاة العيد راكبًا جوادًا كالاسد الضاري وهو عليه كالشاهين لا بسًا برنوسين من الشفاف الابيض وعلى راسه تاج وعليه عمامة بيضاء متقلدٌ سيفًا متوشحًا كساء ابيض شفاف وحوله اخوته واولاده واولاد عمه والخدمة الخاصة ولما خرج من باب البلدة على ميدان واسع مد النظر فيه المصلى ومن الباب الى المصلى مصطفة عساكره المنتظمة عن اليمين وهي من الخيالة السواري والطوبجية المدافع والمشاة النظامية وعلى شمال من الباب الى المصلى مصطفة قبائل العرب وكل قبيلة راكبة الخيل وشيخها امامها وحذائها القبيلة الاخرى وهكذا الى المصلى وعندما يحاذي السلطان اول قبيلة يصيح شيخها باعلى صوته قائلاً الله يطيل عمر سيدنا وتجاوبه قبيلته بلسان واحد ثلاثًا وهكذا كل ما مر على قبيلة تفعل مثل ما فعلت الاولى الى ان يصل المصلى وحينئذٍ تصدح الموسيقات بالالحان الاندلسية العجيبة وعند تمام الموسيقات تصيح العساكر جميعًا ومن حضر قائلةً الله يطيل عمر سيدنا ثم تتلقاه الوزراء ويمشي الى ان يجلس في اول صف حذاء المحراب واخوانه عن يمينه واولاده عن شماله ويتم الصف باولاد عمه ورجال دولته في الصف الثاني ثم يخطب

الخطيب داعياً له في خطبته يذكره بلقب سلطان المسلمين وتصدح الموسيقات وتطلق المدافع ويركب وركبت معه رجال دولته زافين بالسلام الملك العظيم الى ان يصل السرايا ويجلس للمعايدة فتعايده العائلة السلطانية والاشراف والعلماء والوزراء واعيان البلدة وتجارها وبعد ذلك قام من مجلس المعايدة وفي الثاني ايضاً جلس للمعايدة وهكذا الى ثمانية ايام كانت تعايده فيها قبائل العرب ومن بقي من الاهالي ومن العادة ان كل شيخ قبيلة يقدم هدية عند دخوله للمعايدة من الخيل والبغال والمواشي والنقود حسب ما يختارونه والقبيلة التي تعايده اول النهار تلعب في ميدان آخر النهار على ظهور الخيل شاكية السلاح ومولاي الحسن جالس في غرفة عالية يتفرج عليهم الى قرب الغروب ثم تنصرف الى اهلها وهكذا كل قبيلة الى تمام القبائل ويبلغ عددهم زاهي عن ثمانين الف خيال تراهم كالعقبان على خيل كالاسود الضارية تلوح الشجاعة بين اعينهم وقد تذكرت عند ما شاهدتهم قول البوصيري

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وفي غرة ذي القعدة سنة ١٣٠٨ ارسل مولاي الحسن وزيره الاكبر الينا يامر بحضورنا مع من هو موجود من اهل الحرمين الذي اراد ان يقابله فحضروا بنا عند الوزير وحضر التشريفات واعطاه ورقة باسمائنا فناظر الورقة فقال من اسمه محمد الشهابي الينبعي المخزومي فاجبته وقال من فلان الى آخر الاسماء واخذ

بطرف كمي ومشالحي ونبهم واحداً بعد واحد حتى وصل باب السرايا ديوان مولاي الحسن وهناك غرفة داخل الباب جالساً فيها ابي حماد بوطيبة باش مايغجي فقال لنا اذا سلمتم على مولاي الحسن وامركم بالجلوس فاجلسوا وعلامة اذنه لكم بالانصراف ان يرفع يده بالدعاء فقلنا حباً وكرامة ودخل بنا التشريفات واذ بمولاي الحسن جالساً في البرزه خارج الديوان وهو محل متسع مفروش ارضه وجدرانه بالزلج الملون وهو جالس على تخت ومقابله سجادة على طول المحل فلما ناظرناه وقف بنا التشريفاتي وقال هذا حدى ونادى باعلا صوته الله يطول عمر سيدي فاجابه من خلاف الجدار اربعون اغا صغار على ندهه قائلين هكذا (الله يطول امر سيدنا) ثلاث مرات وهز التشريفاتي بيدي وحذفني نحو مجلس مولاي الحسن قائلاً سر على بركة الله فدخلت عليه انا ومن معي ولما صرت بين يديه قبلت يده وركبتيه وقال لي انت محمد الشهابي الينبعي المخزومي فقلت نعم عبدك فاشار لي بالجلوس على البساط وقبل يديه من معي واحد بعد واحد واشار اليهم بالجلوس هذا فوقفنا جميعاً واشار الينا بالجلوس ثانياً فجلسنا على ركبتين وخاطبني بقوله كيف تركت ينبع والاشراف العيايشة وهل زرت سيدنا حسن المثني وكيف امير مكة وقبائله فقلت عبدك زار سيدنا حسن المثنى وتركت الجميع يدعون لمولاي السلطان حسن واما دولة الشريف امير مكة فهو في راحة بال

وقبالته في امن تحت ظله الظليل داعياً لكم والتفت الى من معي واحداً بعد واحد وسألهم عن الفقيه عبد الجليل براده وعن المدينة واهلها وطرقها فاجابوه عبدك الفقيه عبد الجليل قائم لك بالدعاء مع اهل المدينة والطرق احسن ما يكون وسكت سكتة خفيفة ورفع يده بالدعاء ورفعنا ايدينا معه حتى اتم الدعاء سراً فقمنا وقبلنا اياديه وركبتيه وذهب كل منا الى محله وبعد ثلاثة ايام طلبونا ثانياً فقدموا ذلك من معي واعطوا كل واحد ما قسم له من النقود وناولني الوزير بعد ما ذهبوا قطعة عنبر وما قسم لي من النقود وقال هذا امر لك به سيدنا ثم ودعنا الجميع وتوجهنا الى الجديدة الى طانجه وهي آخر اساكل الغرب الاقصى الذي يبلغ عدد سكانه عشرة ملايين نفساً وهي طيبة الهواء عذبة الماء كثيرة الفواكه والخيرات رخيصة الاسعار الله سبحانه وتعالى يحميها ويحمي اهلها من عوارض الزمان وتسلط الاجانب اللئام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام وهذا ما اطلعنا عليه من مدائن الغرب الاقصى وعوائده

فصل في توجهنا الى لوندرا ورجوعنا الى عاصمة الاندلس اسبانيا ثم توجهنا الى لوندرا عاصمة الانكليز

وعندما دخلنا في بوغازها المتسع وجدنا يميناً وشمالاً فابريقات مسافة ساعتين لجميع انواع الصنائع والآلات وترى الدخان متجهاً الى عنان السماء ولما وصلنا الرختم نزلنا الى العاصمة ونزلنا

في اوتل ثم تمشينا فيها وهي مدينة اكبر ما رأيت في عواصم اوروبا جميلة البناء متسعة الشوارع والاسواق كثيرة التجارة وغالب اشجارها بالبحيه اعني لا تثمر والفواكه اغلبها ترد اليها من الجهات ثم تفرجنا على سرايا الرجينه القرانه ملكة الانكليز فوجدنا فيها عنبة جاعلين عليها سائر دائر قبة من بلور وفي هذا داخل الوابور مكينة تجلب للارض الحرارة حتى تثمر وتلك الشجرة انيقة في العاصمة ثم تفرجنا على ترسخانة لوندرا ومين الوابورات الحربية فوجدنا الوابورات كالجبال الراسيات وفي داخلها المدافع الكروبية من الطرز الجديد وزن كلة احد المدافع امامنا فكان وزنها مايتين وخمسين كيلو واما عساكرهم البحرية منتظمة جداً واما محاكمهم في لوندرا فمن احسن ما يكون وسهلة بخلاف الذي نرى من امراهم الذي يرسلونهم الى المحاكم كالمتاين الهند ومصر وقبرص وعدن وخلافها تراهم جفاة شديدين الاحكام غليظين الاطباع وكذلك لا ترى في لوندرا ليلاً ونهاراً الا ظلاماً من الضباب ولا ترى الشمس فيها الا كل ثلاثة اشهر تقريباً مرة كانه عيداً عندهم وهي شديدة البرد اهلها شنعين المنظر الأبيض فيهم كاد البياض ان يكون برصاً والاحمر منهم عيناه شقر صغار ولحيتهم كالمكانس الطائفية فاخذني العجب من حيث اني ارى المحتلين في مصر وغيرها ومن يرد الاستانة العلية عليهم كال الجمال البارد وحسن المنظر بالدم الثقيل والحاصل ان سكان

لوندره تحت الانكليز يبلغ خمسة ملايين ثم بعد الفرجة توجهنا الى طانجه ومنها الى اسكلة الاندلس

فصل في الاندلس وجامع قرطبه وما فيها من الآثار الاسلامية

توجهنا الى الاندلس مملكة الاسبانيون ابتدأنا باسكلة قادس وهي مدينة عظيمة محصنة بالاسوار والقلاع والمدافع وبناؤها على الطرز الجديد مشتملة على الشوارع والاسواق المنتظمة اهلها فيهم الجمال ثم ركبنا منها الشمندوفر الى مدينة اشبيلية فيالها من مدينة بيوتها وشوارعها واسواقها في غاية الانتظام والاتقان على الطرز الجديد وفي جهة منها نهر ماء عذب كبير تمشي فيه السفن الكبار والوابورات الصغار طيبة الهواء عذبة الماء كثيرة الاشجار والاثمار والازهار والرياحين المتنوعة كثيرة الفواكه والخيرات رخيصة الارزاق واهلها اهل جمال مفرط وحسن عجيب مع خفة الدم العربي ويوم الاحد ركبت مع ترجمانتي وهي بنت يهودية في سن ثلاثة عشر سنة تعرف العربي والتركي والاسبانيولي والفرنساوي والرومي ولسانها العبراني وسرنا الى بستان النزهة فجلسنا على كراسي الميري واذ اقبلت علينا فرقة ظبيات يتمايسن كاغصان البان ولما حاذينا وجدت قاماتهن كالقنا وكل واحدة بجديلتين من الشعر المسك الاسود الذي يتماوج كأنه الحرير ملمساً ويلثم اقدامهن ووجوههن كالشموس وعيونهن كعيون المها مقرونات الحواجب فمهن كالخاتم وشفائفهن كالياقوت المتكلل

بالجواهر واعناقهن كاعناق الغزلان الخصر نحيل والردف ثقيل واقدامهن كما قال البدوي العربي

اقدام لو تطئ على الطفل ما صاح   تشكي من القطن اليماني حفاها

ولما مررن ونظري يتبعهن مندهشاً مما رأيت من ذلك الحسن العجيب تذكرت قول الشاعر

وردية الخد بالوردي قد خطرت   تميس تيهاً وتثني القد اعجابا
لم يكفي قامتها الهيفاء ما فعلت   حتى اكتست من دم العشاق اثيابا

وبينما انا افكر في صنع الله سبحانه وتعالى واذ بفرقة غزلان تتبعهن لا فرق بينهم وبين الظبيات التي مررن في جميع الاوصاف الا ان شعر الغلمان قصير الى حد الاذن وشعرهن طويل فلما مروا وتأملت فيهم زدت بهجة وبعد ان ساروا تذكرت هذا التخميس

يا مليكاً على الجمال تولى   ومليحاً بحسنه قد تجلا
لا تظن الوصال حاشا وكلا   كل يوم اريد ان اتملا
بك والدهر بيننا يتعذر

وفؤادي معالل بالتداني   من حبيب ببعده قد رماني
وبرا الجوى وهجره سقاني   والليالي تقول لي بلساني
لا تلمني فالاجتماع مقدر

وعند ذلك نهضت بغير شعوري واخذت طربوشي بيدي ورفعت كفي داعياً الى الله تعالى ان لا يكتب السفر على اهل الحجاز الى هذه البقعة لانهم رقيقين المزاج اذا رأوا ذلك

يضطروا ان يبيعوا بعد ثلاثة ايام الطربوش قبل القفطان ويخرجوا من البلدة مجردين ثم جلست على الكرسي ثانياً وترجماني واقفة وبرنيطتها بيدها تتبسم وتقول لي انت نسيت الكويسين فضحكنا وقمنا نتبعهم حتى رأيتهم وصلوا الى كشك فيه موسيقة تصدح بانواع الالحان المطربة الاندلسية وان كان بلغتهم فرأيت الغلمان والبنات كل واحد بيده واحدة يرقصون على دائر الموسيقة وهناك الذهول والاندهاش والسكر بغير راح ولما رأوني جفلوا جفلة واحدة ونفروا وبعدها التفتوا نحونا التفات الغزلان في نفراتها يتأملون فينا برهة ثم رجعوا لما كانوا فيه حتى فرغوا من ذلك الرقص فانصرفت متعجباً مما رأيت وكان البنات والغلمان من ابناء المدارس • والبستان نزهة للناظرين وبعد تمام النزهة ركبت العربة وذهبت الى مكاني وثاني يوم ركبت الى اخر البلد ورأيت هناك فابريقة دخان كأنها بلدة صغيرة باربعة ابواب يرد اليها الدخان من الاندلس ومنها يفرقونه في جميع ممالكهم فدخلت ومشى معي واحد من الخدامين فاول ما فرجنا على السفلى فوجدنا فيها آلات الفوريقة ثم صعد بنا الى الثانية واذ بالف بنت كل عشرة جالسات متقابلات يغنون بالاصوات المطربة ويلفون السجاير العادية وبعده صعدنا الى الثالثة واذ بستمائة غلام حسان كل ثمانية متقابلون يغنون بالالحان المطربة يجاوب بعضهم بعضاً ويلفون السكاير الكبار الافرنجية فيفرقونها في مدائن الاندلس وفي

ثالث يوم ركبنا خارج البلدة بساعتين وهناك فبربقة يصنع فيها
الصيني والبلور والزجاج وهو من ابدع ما يكون وفي رابع يوم
ركبت اطوف في البلاد وهكذا ثلاثة ايام وبعد اتمام الفرجة
عليها توجهنا الى قرطبة وهي مدينة عظيمة عذبة الماء جيدة
الهواء وهيئتها على شكل بناء دمشق الشام خلاف الذي على
الطرز الجديد مسورة وتحت السور على دائر البلد من اربع
جهاتها خندق يصب فيه نهر ويمشي في الخندق الى ان ينتهي
الى مصبه الاول فيفيض من ميازيب الى وادي فيه البساتين
والاشجار والزروعات ويجتاز الى المدينة من باب قدامه جسر
فوق الخندق وفي دولة الاسلام ايام الملك الداخل كان للجسر
سلاسل يرفع بها بعد العشاء ثم يوضع ثانياً بعد الفجر والان
جعلوا كوبري من حديد ثابت لا يرفع واذا دخلت البلد تجد في
اولها قبور في اوسطها عامود من الرخام شاهقاً مكتوب فيه
نقش في الحجر مطرز في الذهب اسماء اهل هذه القبور من من
ملك الاندلس من المسلمين واول من ملكها الملك
الداخل من بني امية ثم تمشي وتدخل الجامع المسمى قرطبة وهو
على شكل بناء جامع بني امية في دمشق الشام في الكبر والهيئة
مبني على عواميد من الرخام سقوفه مطرزة بالذهب وعلى محرابه
مكتوب آية من القرآن وتحتها حديث بمعناها وتحتها بيتين
شعر بمعناها وفاتني ان انسخهم وفيه منبر مشيد من الابانوس

مفصل بقطع من الفضة والصدف على قدر البنان انظر هذه الصنعة والاتقان وفي اخر المسجد قبة متطاولة وفي غربيها وشرقيها من اصل القبة محلان منفصلان متقابلان يصعد اليهما باربعة درجات وفي كل منهما كرسي ورحلة وفي شمالها وجنوبها دكك على طول المحل وعليها كراسي من الابانوس يصعد اليها بثلاث درجات وتحت هذه المحلات الاربعة دكة متصلة عليها كراسي من الجوز يصعد اليها بدرجتين والارضية مملوءة بكراسي صغيرة من خشب الجوز فسألت الخدام الذي هناك عن ذلك فاجابني انه كان في دولة الاسلام وقت الصباح امير المؤمنين الداخل على الكرسي الاعلى ومقابله في المحل الشرقي القاضي ويجلس الوزراء ورجال دولته في الجانب الجنوبي ويجلس السادات والعلماء في الجانب الشمالي وفي المحلات الاربعة فانه يجلس التجار واعيان البلاد وفي الارضية يجلس من بقي من الاهالي ثم يشرع القاضي في قراءة الحديث وعند تمام القراءة يرفع امير المؤمنين يده ويرفع ايديهم معه جميعاً ويدعون ثم يذهب الملك وينصرف الحاضرون وهكذا في كل يوم وسائر دائر القبة دواليب جميلة مملوءة بالكتب النفيسة والمصاحف الجيدة المنقوشة بالذهب والبعض منها كتابتها بالخط الكوفي على رق الغزال نجاسة وطلبت كتاباً فاحضر لي الدفتر ثم وضعت يدي على كتاب فنظر في النمرة واخذ الدفتر وسريعاً فتح دولاباً واتاني

بالكتاب المطلوب ووضعه امامي على رحلة واحضر دواية وقلم
وبعض قراطيس فطالعت قليلاً ثم خرجت من المسجد وهو على
اربعة ابواب ومحاط به من جهاته الاربعة ميدان بالاشجار والازهار
والرياحين وهنالك بركة بشذروان من اكبر ما يكون ويليها منارة
مربعة عظيمة شاهقة البناء وغرب الجامع على حد الميدان قبة
متطاولة محل الشورى في عهد الاسلام واما الان فهي مملوءة
بالكتب القديمة الذاهبة عديمة المنفعة ولعل من اخبر واشاع بان
الكتب القديمة المهمة للمسلمين في الاندلس في قرطبة مشحونة
عديمة الفائدة يرعى في بطنها الدود فمن اخبر فهو ما راى غير هذه
القبة صادق ولم يطلع على المكتبة الاصلية التي ذكرناها سابقاً او
عرفوا منه الاسبانيون انه مرسول مخصوص فما اطلعوه الا على
الاولى وهذه اخفوها عليه ومقابلها شرقاً قبة صاحب الشرطة
والان جعلها الاسبانيولي مركزاً للعسكر وشمالاً محل القاضي والان
هو مركز للبوليس وجنوباً سرايا الملك الداخل المسماة بالسرايا
الحمراء فدخلناها ومشينا في جوانبها بعدما دفعنا فرنك للبواب
حسب العادة ومشى معنا خادم يفرجنا فمشى بنا الطبقة الاولى
دوائر للكتاب والمأمورين وثاني طبقة فيها دوائر للوزرا والحجاب
والخدم الخاصة الى ان انتهينا الى محل جلوس الملك وهو ايوان
من ابدع ما ينظر وفي صدر الديوان التخت الذي كان يجلس
عليه من خشب الابانوس محلياً بالفصوص الذهبية وفرشه من

قطيفة مزركش فرأيت لون القطيفة مثل الرماد لم تذب فسألت الخدام فاجابني لكثرة التحفظ حتى انهم يكنسوا ما عليها من الغبرة بريش النعام وممنوع مسها فقلت في نفسي كيف تبقى الى هذا الوقت واردت المسها لاختبرها فمديت اصبعي اليها بحيث لم يشعر من معي ولمستها فنزلت اصبعي فيها حتى كانني وضعت اصبعي في رماد فلما رأيت ذلك خرجت من هذا المكان مسرعاً لئلا يشعر بما فعلت من معي ثم نزل بنا الخادم الى سرايا وهو مغروس بالاشجار والازهار والرياحين والحياض والشذروانات والدواوين مما يسر الخاطر ثم دخلت الى دائرة الحرم وهي مرتبة مثل السرايا الاولى وبستانها مثل بستان السلاملك والسرايا السلاملك والحرم مزخرفة البناء ملبسة الجدران بالزلج الملون سقوفها جميعاً منقوشة بالذهب وارضها مبلطة من الرخام الكبير المربع ابوابها من خشب الابانوس منقوشة بالفضة والصدف كأنها جديدة فسألت الخادم كيف تبقى هذه السرايا الى الان بهذه الجدة ولم ينقض منها شيء فاجابني بان كل ما يقع من السرايا ومن المسجد ومن الكتبخانة قطعة صغيرة يصنعون مثلها بشكلها سريعاً فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول ثم تمشيت في البلد وبعد انتهاء الفرجة توجهنا الى مدريد عاصمة اسبانيا وهي مدينة عظيمة متسعة الشوارع والاسواق ومغروس بينها الاشجار فبدأت بالفرجة على هيئة سرايا ضولمه بغجه التي بالاستانة الا ان بدل قبة السلاملك

للمائدة في الوسط جاعلين قبة كنيسة مخصوصة بالملك منقوشة بالذهب معلق فيها التصاوير الجميلة والصلبان من الفضة والذهب والبعض مرصع ومعلق فيها النجف والقناديل سلاسلها من الذهب والفضة وتحت الكنيسة كتبخانة مملوءة بالالوف من الكتب والتواريخ الافرنجية ويحد السرايا شاماً ماء مد النظر لم اره يتحرك هل هو حلو ام مالح لا ادري حتى اذا هب النسيم عليه ترى امواجه وانت في السرايا كما قال الشاعر

نسج الريح على الماء زرد يا له درعاً نضيداً لو جمد

ويحيط جانب السرايا بستان فيه حوض كبير بشذروان عجيب وسائره ازهار مختلفة الالوان اذا اقبلت على الحوض تقول انه محفوف بمفروشات من السجاجيد العجمية باهية المنظر واذا وصلت اليها تجدها الازهار منتظمة على هيئة نقش السجاجيد فانظر الى هذا الاقتدار والمعرفة وفي البستان اشجار جميلة مع الزهورات والرياحين المتنوعة ثم تفرجنا على انتيكخانه رأيت فيها المدافع والسلاح القديم والدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والترس والنشاب والدبابيس واكثر هذا الاشياء مرصعة وفيها بعض نقود قديمة وبعض من الحجارة الثمينة وصور وتماثيل من الصيني والاجور والحجار وتمشيت في البلد واكثر بنائها على الطرز الجديد ولما تمت الفرجه توجهت الى (سنبسا بستيان) منتزه اهل الاندلس والان الاسبانيون ودخلت من اربعة غير ان تخثورة تحت

اربعة جبال قريب بعضها من بعض ولما قربنا من البلد وجدنا هناك جبلا منخفضاً جداً جعلوا وابور في اول القطر وفي آخره وابور اخر ليدفع احدهما عند الطلوع ويمسكه الاخر عند النزول فيصعد بالموبنا ويهبط بالتدريج الى المدينة وهي بلدة صغيرة على شاطئ البحر في سفح جبل عالي متطاولة عذبة الماء والهواء كثيرة الاشجار والاثمار والازهار والرياحين المتنوعة وفي اول يوم تعشينا في بستان النزهة الذي هو في وسط المدينة واذ فيه المزيقة تصدح والملاح ترمح فتفرجنا الى انقضاء الوقت وفي ثاني يوم تفرجت على البلد فرأيتها صغيرة ولكن من اجمل ما يكون وفي اليوم الثالث خرجت الى خارج البلدة وهناك متنزه امبراطورة اسبانيا الوكيلة عن ابنها وكان عمره في ذلك الوقت ستة سنوات فاستأذنت في الدخول لاتفرج فاوقفوني نحو ربع ساعة ثم جاء الاذن فوصلت الى باب السرايا فرأيت عليه ضابط فاعطاني ورقة دخول حتى وصلنا الى قرب مجلسها فوجدت ضابطة رتبتها ميرالاي فاخذت الورقة مني بعد ما عرفت ما اريد من ترجماني وصعدت في السلالم الى الاعلى ورجعت اليّ مسرعة ومعها بنت رتبتها قول اغاس فلما رأيت البنت كاد ان يغشى علي مما شاهدته من حسنها وبديع جمالها وادبها وخفة دمها فصعدت بي وادخلتني ديوان الملكة وغنت بالبرنيطة واذ بالملكة وابنها يتمشيان في الايوان فلما رأتني انتهت الى كرسيها وابنها على كرسي

بينها فاذنت لي بالجلوس امامها وسئلت ترجمانتي من اي البلاد فاجابتها قبل ان تفهمني كلام الملكة بانه من بلاد الترك فقالت لي على لسان الترجمانة كيف بلاد الترك وكيف عساكرها وسلطانها فاجبتها بان بلاد الترك خصبة وعساكرها ذوي شدة وباس وسلطاننا ذو حلم وسخاء وعقل وتدبير فسكتت برهة وبعدها قالت ان سلطان الترك عاقل كثير وهو يكاتبنا وقالت اتريد ان تتفرج على مملكتنا فقلت لها تفرجت عليها كلها فقالت كيف رأيت مملكتنا فمدحت تربية اهلها وانتظام عساكرها وشجاعتهم وكثرة المياه وجودة الهواء وكثرة الاشجار والازهار قليل ما يوجد في ممالك اخرى مثلها كثيرة الجمال فترجمت لها ترجمانتي جميع ما قلت فلما انتهت في الترجمة الى قولي كثيرة الجمال تبسمت وسكتت قليلاً فظننت في نفسي انها تهدي عليَّ الجارية التي بقربي ثم بعد برهة استأذنت وقمت الى منزلي وقلت الله يرحم اشعب لانه من المدينة وبعد تمام الفرجة توجهت في الشمندوفر الى مدينة بونيه حدود اسبانيا والاندلس الفاصلة بينها وبين فرنسا ويبلغ ما هو تحت حكم مملكة اسبانيا وتوابعها خمسة عشر مليونًا ثم ركبت الشمندوفر سائرًا الى مملكة فرنسا وفي كل اربع ساعات يقف بنا على مدينة حتى وصلت باريس عاصمة فرنسا في ستة وعشرين ساعة ولا ترى شبرًا في فرنسا الا وهو مزروعًا ومسكونًا فقصدت دار الاديب الكامل الشهير محرر الجريدة

العربية في باريس الشيخ ج سانو ابو نظاره المصري المتوطن بباريس فقابلني مقابلة حسنة وانزلني في لوكاندة في اكبر شارع بباريس ودلني على طباخة تحسن الطعام وباريس في ارض مبسوطة وبناؤها على هيئة رقعة الشطرنج مفصلة بالشوارع والاسواق المتسعة وفيها الاشجار وبيوتها وبنوكها وبورصها ولوكانداتها واوتيلاتها وكزيناتها هيئتها واحدة حتى ان الانسان الغريب لا يفرق منزله الا بالنمرة فطفنا بها وبدأنا ببرج ايفل وهو منارة مستطيلة من الحديد مربعة على شكل المسلة يبلغ ارتفاعها ثلاث ماية متر وهي قائمة على قضبان من حديد وفي اعلاها دائرتان واحدة فوق واحدة يدفع المتفرج فرنك ويصعد الى تلك الدائرتين بمكينة من جوفها وهو في راحة ويدور فيهما ناظراً جميع نواحي باريس ثم نزلنا منهـا وقصدنا راس محطة الاستاسيون في جانب باريس الى حد مرور الشمندوفيرات فتوجهنا الى الاستبلات واستاقي فتفرجنا عليها وفي اليوم الثاني ركبنا الاستاسيون عند خروجه من المحطة وعلونا ظهره لنتمكن من رؤية الشوارع التي قرر الامم جميعها بان لا مثيل لها وفيها طريق واسع جداً في جانبه الايمن والشمالي رصيفان للمارين على ارجلهم وهذا الطريق كان قديماً دائر باريس ثم توسعت حتى صارت الزيادة اعظم واكبر من باريس الاصلية واذا نظرت فيها ليلاً تراها كانها نهاراً من كثرة الانوار الكهربائية والالتريكية يظنها المتفرج بانها مزينة وقتياً لامر ما

ثم مريت بسبعة شوارع تنتهي بباب عديم المثال ويقابله باب مثله وفي راس الشوارع ساحة فيها تماثيل عجيبة الاشكال وفيها صورة فرنسا بهيئة بنت بيدها ريحانة وحولها اسود وابطال ومقابلها عامود شاهق اسمه جلبي وكان قديماً محله قصر مشيد للملك الخامس الذي آل امره الى حبسه وهدم قصره وبني هذا العامود مكانه تذكرة لذلك ثم مررنا بسرايا عديمة المثال اخربتها مدافع المانيا في الحرب الاخيرة مع فرنسا وبعد تمام الصلح عند قيامه بنيت السرايا من الاول وبجانبها برج شاهق البناء مشيد الاركان وهو اشارة لمحل كنيسة قديمة فصعدت في البرج فرأيته غريب الشكل . وتفرجت من اعلاه على جميع امكنة باريس ثم قصدت الى ميدان مجاور له وبه فسقية عليها من التماثيل اغربها وحول ذلك الميدان اربعة تماثيل يشير الاول الى الصدق والثاني الى العدل والثالث الى العفو مع القدرة والرابع الى التيقظ وفي اوسطهم عمود طويل مرسوم عليه صورة الحرب التي انتصرت بها عساكر فرنسا في عهد بونابرت الرابع وعامود ثاني عند فسقية يشير الى محاسن فرنسا ثم مشيت من طريق ريفول وهي من الطف بناء ابنيتها يميناً وشمالاً كانها سرايات الى ان وصلت السرايا الكبيرة وهي من المعتبرات بباريس وفيها الاشياء القديمة مع عدة تماثيل من رخام محكمة واحسن شيء من الاثار القديمة صغار من فخار وزنج والدور الثاني منها فيه تماثيل اثار قديمة

وقواب بحرية مركبة من كل معنى طرب وفي الدور الثالث صور مجسمه لمن حكم فرنسا والسلاح القديم والاواني الذهبية والفضية وفي اوسط المحل صندوق من البلور مربع فيه تاج مرصع بالياقوت والالماس والزمرد وعليه عصابة من الجوهر وفي اعلا التاج جوهرة ثمينة وعلى يمين التاج موضوع في الصندوق سيف قرابه من الذهب مرصعا بالالماس وقبضته من الالماس البرلانتي القديم يضيء كالشمس وعلى شمال التاج في الصندوق سيف من الذهب مرصع بالياقوت وقبضته من الياقوت الاحمر الرماني يضي كأنه جمر الغضا وامامه في الصندوق صليب معلق من الجوهر وعلى يمينه وشماله لؤلؤتان معلقتان كل واحدة قدر بيضة القمري وعلى شكلها من اصفا ما يكون في اللؤلوء الثمين وفي اخر الصندوق نقود من العملة القديمة الذهبية ومن الجوهرات الانتيقة ثم تفرجنا على كنيسة باريس الكبيرة مقابلة لهذه السرايا واذ هي قبة واحدة مستطيلة شاهقة البناء من اعظم واجمل ما يرى مركبة على عواميد شاهقة من المرمر بديعة المنظر مفروشة بحجر الرخام المربع الكبير وسائر دائر جدرانها وقبتها منقوشة بالصور من الذهب ومعلق فيها الصلبان الذهبية الفضية والبعض مرصع ومعلق في اوسطها النجف والقناديل التي سلاسلها من الذهب والفضة ولما اتممت الفرجة خرجت من بابها الثاني واذا عن يمين الباب وعن شماله غرفتان من البلور يرى جميع ما في داخلها من الخارج

فرأيت فيها قتيلاً موقفاً في صدرها مصبراً والبسته معلقة بحذاه فسئلت عن ذلك فاخبرت اذا وجدوا قتيلاً لم يعرف يصبرونه ويضعونه هنا ويعلنون عنه في جميع الشوارع فكل من له مفقود يحضر الى هذا المكان لعله يرى من يفقده والبوليس تجتهد في التفتيش على القاتل واحضاره فاذا احضره يقيمون عليه قوانينهم ولا يدفن القتيل الا بعد ان يعرف من هو ثم مشيت فرأيت فسحة عظيمة فيها بناء عظيم وله جملة ابواب فصعدت اليه واذا هو لوكاندة للاكل بنيت في ايام المعرض تسع ثمانمائة شخصاً فيها ثمانون سفرة يجلس على كل سفرة عشرة انفار وكل سفرة تباشرها خدامتها بنت من اجمل ما يرى فهن ثمانون بنتاً والذي يناول للبنات الطعام غلمان حسان فاكلت فيهـا وتوجهت الى بورصة بارون هرش اليهودي اغنى اهل الدنيا وهي باربعة طبقات باربعة ابواب قدر قشلة السليمية في الاستانة وفيها جملة بياعين في الاربعة الطبقات يبتاع من جميع الاصناف ومن يشتري شيئاً من البياع ورقة فيها مبلغ المشترى ويدفع الثمن للصندوق وفي اعلا الطبقات غرفة في غاية الاتساع وحسن المفروش بكراسي مبطنة بالقطيفة يصعد اليها السواحون والمتفرجون بواسطة مكينة في وسط البرصة ويجلسوا ويشرب كل من يشتهي نفسه مجاناً على كيس صاحب البرصة البارون هرش ثم ينزلون من المكينة ايضاً ويذهبون وبعد الفرجة مشينا الى سوق مسقف بالبلور يباع فيه الجواهر

الثمينة والاواني المرصعة بالحجارة الثمينة والاواني الذهبية والفضية والانتيقات وهو مربع كبير وبعد الفرجة ركبنا الى بستان عمومي للنزهة مغروسة فيه الاشجار والازهار والرياحين وعند دخولك احد ابوابها يوجد شمندوفر صغير بثمانية عربات تسع كل عربية عشرة انفار يركبها المتفرجون وذلك لاتساعه ويوجد فيه من انواع الاثمار والمزروعات مالا يوجد في كثير من البلاد مجلوب لها من النخل والجوز المسمى النارجين والبهارات والموز والانبه والبن وكثيراً من فواكه البلاد الحارة واشجارها وفي كل قطعة منه مكينة صغيرة تعطي حرارة للارض بقدر الحرارة الموجودة في ارضها التي جلبت منها حتى لا يتغير ثمر العادة منها ومسقف عليها بالزجاج عن البرد الشديد وفيها من انواع الحيوانات والوحوش والهوام والطيور شيء كثير وكل منهم في اقفاص حديد وفيه ايضاً حوض من الماء المالح في داخله جميع انواع السمك ومن اعجب ما رأيت حوض ماء مصور في جانبه جبل صغير مجسم فيخرج من الحوض حوتة ظهرها احرش اي خشن متين كثير اشبه بالسلحفة فيصعد الى اعلا هذا الجبل ويصيح صيحة مزعجة كصوت الفيل الذي ضل ابنه وترمي نفسها من الجبل الى الحوض وتظهر حوتة اخرى وتصعد الى الجبل ايضاً وتصيح كالاولة ثم ترمي بنفسها الى الحوض وهذا من اغرب العجائب وفي البستان افيال وجمال

بسنامين يركبون عليها ويسيرون في البستان وفيه عربيات صغار جداً يركبها الاولاد الصغار ويجر العربة كبشان وسواق العربة رجل قصير بلحية كبيرة وطوله متر واحد واخرى يجرها كلبان وسواقها ولد صغير واخرى يجرها ثعلبان اعني ابو الحصين وسواقها قرد يركبها فاران وفي اثناء سير هذه العربيات نزل القرد من فوقها الى الارض كانه يصلح شيئاً لا حظه بانه تعطل وبيده شاكوش يطرق بـه حتى كانه اصلحها فيصعد الى العربة ويسوقها فانظر الى الفرنسويين كيف استخدموا هذه الحيوانات والفوا بين تلك الاضداد وفي البستان غير ذلك من اصناف جميع الحيوانات ومن العجائب كثير وعند قرب الغروب ركبنا الى التياترو العمومي الذي مساحة ارضه كذا فدان فالداخل للفرجة يدفع من عشرين فرنك الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة وقبل ان يدور اللعب تصدح المزيقات برهة ثم يبتدأوا باللعب في التياترو واذ عرضي فرنسا قد اقبل من الخيالة السواري والطوبجية وعساكرها النظامية فاصطفت في الجهة التي خرجت منها واذا قد ظهر من الجهة الثانية امير الجزائر مقدماً على الجيش المشتمل على المشاة والخيالة والهجانة فاصطف في جهته التي خرج منها فثار الحرب بين الفريقين وصوت المدافع والبنادق وانسلت السيوف البوارق وتصدعت الدروع السوابق واظلم الجو وخيم ثم انكشف الغبار كانه بعد العصر عن انكسار الجيش الفرنسوي واهل الجزائر

في اثرهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الظلام ثم اظهروا
انما كأن الحرب قامت مدة طويلة ثم وقف بينهم الحرب والقتال
اياماً وجرت المكاتبة بينهم حتى اجتمع امير الجيش الفرنساوي
وامير الجزائر وعقـد الصلح بينهما على شروط وتفرقت الجيوش
وذهب امير الجزائر مع الامير الفرنساوي الى باريس فاكرموا
امير الجزائر ومن معه بالملابس الفاخرة والنياشين العالية والنقود
الكثيرة ودار الشغل في الجزائر حتى ارغموا بالرشوة اكثر قواد
الجزائر وبعد ذلك جهزوا اورديهم الفرنسوي ودخلها كانه بالغلبه
وهي بالحيل والمخادعة الى هنا انتهى الفصل الاول وبعده انتصب
الفصل الثاني فاذ بجيش المانيا مقبلاً فقابلته الجيوش الفرنسوية
واقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة للجيش الالماني فلم يزل يقهرهم
الى الوراء حتى وصل الى باريس وخرب بمدافعه سرايا الحكومة
فلما رأت ذلك اهالي باريس من برنسات وتجار واعيان خرجوا
الى المانيا وطلبوا منها عقد الصلح فعقدت المانيـا معهم الصلح على
شروط جسيمه بحيث ان ملك المانيا والوزير باسمارك ظنوا
انها معجزة لا يقدرون على دفع هذا المال فيضعا يدهم على باريس
ويملكوها وشدد عليهم هذه الطلبات في ايام محدودة نقداً تحضر
فقبلوا اهالي فرنسا ومشوا وبعد ستة ايام جمعوا النقود المطلوبة
من كافة البنوك في باريس ولم يشعر بعد ستة ايام ملك المانيا
ووزيره باسمارك الا واهالي فرنسا مقبلة لعقد الصلح وعربات

النقود تتبع بعضها بعضاً الى ان وصلوا فسلموها للالمان فاستلموها متأسفين وتوجهوا الى بلادهم عن عاصمة فرنسا وبعدها بنيت شرايا الحكومة احسن من الاول بغاية السرعة والى هنا انتهى هذا الفصل ثم انتصب الفصل الثالث واذا بمائة بنت خارجات للعب والرقص وفي اثناء الرقص يستريحون مدة فيأتيهن غلمان حسان لهم معشوقات من البنات فيلعبون ويتغازون فيمر على غفلة منهم البوليس فيقبض عليهم ويذهب بهم الى البابا فينصب البابا الجنة والنار فالذي ثبت عنده بانهم فسقوا يرميهم في النار وهي عبارة عن محل يشب في اعلاه نار في قراطيس فقط واسفله خال منها فالساقط فيها ينزل الى اسفل المكان بسهولة فيصفقوا الحاضرين جميعاً ويقولون انظروا كيف اكلتهم النار والذي ثبت عنده بانه مظلوم يدخله الجنة وهي بصفة كشك صغير محفوف بالاشجار النفيسة وقدامه حوض بشذروان وهو محفوف بالازهار والاوراد والرياحين والى هنا ينتهي الفصل الثالث ثم يمثلون فصل رابع وخامس الى ستة فصول وفي الاخر ينصبون درابزون من الحديد مثل القفص وله باب فيأتون باسد كبير ويدخلونه فيه ثم يدخلون عليه مصارع لابساً جلد املس وبيده سيف مسلول فيتقابل مع الاسد ويكون الاسد جالساً فيرفع يديه ويلعبان السيف والترس فيلعب الاسد بيديه والرجل بحسامه حتى يأول الامر الى المصادمة فيدخل خادم الاسد ويصالح بينهما

والى هنا يتم العمل وتنصرف الناس فانظر يا اخي الى الفرنساوي كيف انه ألف بين الشاة والذئب وبين الاضداد وفي اليوم الثالث توجهنا الى تياترو الجمهورية والبرنسات في اوسط باريس وهي قبة متسعة وفيها نجفة معلقاً فيها شمعدانان الا ان مكان الشمع بلورة يظنها غير العالم بها شمعة وفي داخلها نور الكهربائي الاتريك فتملأ النجفة المكان نوراً كالنهار والمتفرج يدفع ثمن ورقة الدخول خمسين فرنكاً الى اربعين الى ثلاثين الى عشرين الى خمسة عشر بحسب ترتيب المحلات وترى الموسيقة تصدح قبل الابتداء بالتمثيل والالحان العجيبة ثم يمثلون فيخرج ستون بنتاً وعشرون غلاماً البستهم لاصقة في اجسامهم حتى كأنه لا ثياب عليهم وهم من ابدع ما يوجد في باريس من الجمال فيرقصون ويلعبون ويتجاذبون والموسيقة تصدح فترى الحاضرين في اندهاش مما اخذهم من الطرب ويتممون هذا الفصل بانواع اللعب على مثل هذا ثم يشرعون بفصل ثاني الى ان يتموا ستة فصول وفي السابع ترى السحاب خيم والرعد صوت والبرق لاح والمطر هطل كافواه القرب والسيل فاض فيفتحون طاقات هناك من القبة ليتفرجوا على السيل واذ بغلام من اجمل ما يرى صاحبه السيل فيركضون اليه البنات والغلمان ليخلصوه وهم يقولون مات الله يرحمه فتذكرت بيتين

يا ماء مالك قد اتيت بضد ما   حدثت عنك وجئتنا بعجيب

لله اخبر ان فيك حياتنا   فلأي شيء مات فيك حبيبي

فلم تمض برهة بعد هذا الا وقد جاؤا به سالمًا والى هنا تم اللعب وانصرفنا وتمت بعد ذلك اياماً اتفرج في نواحي باريس وارى العجائب التي فيها واختبرها فوجدتهم تجارًا واهل طرب وكمال وادب قانونهم نافذ كالسيف بلا لعب فيه ولا اختلال منتبهون لاحكامهم والمأمورين الكبار والصغار واذكر لك نبذة مما رأيت من انتباههم وذلك اني خرجت ليلاً الى الكوزينة وفي الساعة الرابعة قصدت داري فلم اهتدي اليها لما ذكرنا سابقًا من ان جميع اماكنهم مثل بعضها شكلاً فلا يعرف الرجل الغريب محله الا بالنمرة وكنت النمرة نسيتها في الدار فرجعت الى الكوزينة ثم غلب ظني جهة فقصدتها ثم رجعت الى الكوزينة ثلاث مرات واذ بوليس اتى اليَّ ووضع يده على كتفي وخبط عليه ثلاث خبطات خفيفات ورفع لي البرنيطة واشار لي ان اتبعه وصار امامي فصرت وانا افكر في نفسي اللهم اني حافظ نفسي وحافظ شرفي فما هذا البوليس الذي اتاني وانا في هذا الفكر ماشيًا اتبعه واذ به وقف على داري فسحب الجرس وفتح الباب فدخلت واذ هو الاوتيل ثم رفع لي البرنيطة وقال بونسوار موسيو وذهب فدخلت الى محلي وانا اتعجب فانظر الى هذا الانتباه الزائد من الحكومة اذ في المدينة ما يبلغ مليونين فكيف عرفني باني غريب وكيف استدل مكان نزولي واذكر لك ايضًا

نبذة من ادابهم وهي انه اخبرني من أثق به انه بينما كان ماشياً
في بعض شوارع باريس واذا بباسطونه سقط من يده فاراد ان
يتناوله واذا باثنين من اهالي باريس كأنهم برنسات تسابقا
لاخذ الباسطون قبل ان اتناوله ومسحه بمنديل في جيبه وقال لي
تفضل يا مسيو هذا ما جبلوا عليه من الادب ومراعاة الغريب
فبهذا سادوا فهم يجتهدون ونحن نفرط وهكذا الدنيا دول وبعد
ما تمت الفرجة على باريس وضواحيها ركبت الشمندوفر وبعد
اربعة ساعات وصلت الى مدينة يصنعون بها الجوخ والتوبيت
والطوابيش وغيرها من اصناف الملابس وثاني مدينـة وجدناها
تشتغل الحرير بالالوان المتنوعة والملابس من الحرير الشفاف وغير
ذلك وثالث مدينة تشتغل الدوبلان اي البفتة البيضاء والدرد
اي الخام الابيض وجميع الاقمشة القطن ورابع مدينة تشتغل
اصناف البصامي من جميع الالوان وغيرها وخامس مدينة تشتغل
فيها انواع المعوبات والانتيقات وغيرها ثم منها على عشرين
ساعة الى مارسليا مدينة كبيرة على الطوز الجديد واسعة الشوارع
والاسواق منحدرة قليلاً على جهة البحر لانها اسكلة فرنسـا
الكبيرة وفي وسطها بورصة تفتح الساعة خمسة من النهار وتقفل
الساعة ثمانية وموجود فيها جميع عينات اصناف البضائع بالمزاد
واذ وقع المزاد على المشتري يمشي هو وصاحب البضاعة والدلال
وياخذ العينة اي المسطرة الى بنك هناك فتقسم العينة قسمين

قسم يوضع في البنك والاخر يبقى مع المشتري ويختم البنك العينات ونكتب الشروط الى البلدة التي طلب المشتري ان يستلم منها البضاعة ويدفع المشتري نصف الثمن الى البنك قبل الاستلام والنصف الثاني بعده والبنك يرسل العينة الى شعبه في تلك البلدة وعندما يرى المشتري البضاعة التي اشتراها وافقت العينة استلمها وان اختلفت يرجعها الى شعبة البنك ويحضر من البنك من يعاينها فاذا وجدها مختلفة يرجع المشتري الى البنك ويستلم منه النصف الذي دفعه له من الثمن مع فائدته في هذه المدة . ومارسيليا من جهة البر فيها اشجار واثمار ومزروعات وفي جهة منها بستان نزهة معتليًا يصب منه ماء ينحدر الى ثلاثة حياض يتلو بعضها بعضًا الى الارض من اجمل ما يكون وعن يمينها وشمالها سلمًا بأربعة وعشرين عتبة عرض العتبة اربعة امتار وفي جانب السلم يمينًا وشمالاً انتيكخانة وهي من اوسط الانتيكخانات وفي وسط البلد بستان نزهة صغير يتمشون فيه بعد العصر ويصطادون به نوافر الظبي وسوانح الغزلان وفيها فابريقات الدقيق والسكر والقصدير والرصاص وغيرها ويحاذيها على بعد ساعتين امكنة فيها الترسخانة وجميع وابورات فرانسا الحربية الزرخانة ومقر العساكر البحرية والطوبخانة فتفرجنا عليهم جميعًا وهم من اجود ما يكون وانظم وبعد تمام الفرجة توجهنا الى مارسيليا ثانيًا وتممنا الفرجة عليها وسكان فرانسا وعاصمتها باريس وتوابعها سبعة

وثلاثون مليوناً ثم توجهنا الى برلين عاصمة المانيا وهي مدينة عظيمة مشتملة على شوارع واسواق وبناءها من اعظم البناء تختلف طبقات البيوت ما بين ستة وسبعة طبقات شاهقة في الهواء وفي البيوت المهمة عوض الدرج مكينة يصعدون وينزلون بها واهلها فيهم الشدة والبأس وعساكرها في غاية البسالة والشجاعة شبه العساكر العثمانية كثيرة البرد والثلوج كثيرة الاشجار الغير مثمرة والمانيا تختها برلين وتوابعها خمسة عشر مليوناً ومنها توجهنا الى ويانه عاصمة النمسا وهي منقسمة قسمين احدها مقر التخت وهي جميلة جيدة البناء اهلها اهل ادب وكمال وحسن وجمال وفيها الاثمار والازهار والمياه ويضرب فيها الريال الفرنسا المسمي ابو طيره ويضربه بنك مخصوص وليس للحكومة فيه تعرض والقسم الاخر سكانه مختلطون من الاجانب والجمال فيهم قليلاً واما عساكرهم فهي في غاية الانتظام وسكان النمسا وملحقاتها اربعة وعشرون مليون وهم من جنس الالمان وبعد تمام الفرجة توجهنا الى روميه عاصمة ايطاليا وهي من اعظم ما يرى في العواصم مشيدة البناء منتظمة بالشوارع والاسواق والاثمار والازهار وفيها الحسن والجمال ولكن دمهم ثقيل وعساكرهم في غاية الانتظام واكثرهم غلمان وضباطهم متدربين وفي وسط العاصمة كنيسة شاهقة البناء مطرزة بالنقوش الذهبية كثيرة الملقات من الصور المجسمة والصلبان الذهبية والفضية والبعض مرصعة ويليها سرايا يسكنها البابا معتقد الافرنج ورئيس

ديانتهم فنظرته في الكنيسة واذ هو مثل احد البابوات الذين في الكنائس الاخرى وكنت اولاً اظن ان البابا بابا فرأيته كغيره من القسس وهو لابساً ثياباً رقيقة من الديباج الاسود وبرنيطه طويلة سوداء وطيلساناً اسود وله عسكر مخصوص جرد مرد من اجمل ما يكون يلبسهم السنري والباطالون والبالطو من ثمانية اشكال والزنار معلقاً في رقابهم مع صليب صغير جداً البعض فضة والبعض ذهباً والعاصمة عذبة الماء جيدة الهواء طيبة الفاكهة رخيصة الاسعار وبعد تفرجنا على المدينة وضواحيها مشينا وبلغ سكان مملكة ايطاليا وملحقاتها ثمانية عشر مليوناً وهنا تمام فرجتنا على ممالك اوروبا

باب في توجهنا الى عدن وصنعاء

توجهنا الى بورت سعيد ثم الى بحر السويس وبعد ثلاثة ايام ونصف وصلنا عدن اول اماكل اليمن فنزلت في التواهي في دار عوض ثم ركبت عربة وبعد ساعة دخلت مدينة عدن وهي على ربوة محيطٌ بها الدائر جبل شاهق ولما حل بها الانكليز حفر لها طريق من الجبل عرضه خمسة امتار وطوله مسافة دقيقة تنحدر منه العربة بسهولة الى عدن وهي متوسطة في البناء والشوارع والاسواق وتجارتها البن والتنباك والمسك والعنبر والزباد والعود وشيء من الطعام وشيء من الاقمشة ولا ترى فيها شجر ولا مرعى الا شيء نادر الوجود شديدة الحرارة فلما اتممنا الفرجة عليها وزرنا السيد العيدروس وتأملنا في سكانها واذ هم مختلطون

من العرب اهل اليمن وحضرموت والهنود والسنود والبنكالة وبعض الاسماعيلية الذين يعبدون البقر وحكمها وزمامها بيد الانكليز ولنا فيها صديق يسمى عبد القادر بن محمد النقشبندي المكي ناظر بلاد عدن اعني في بيت المحتسب ثم نزلنا في التواهي ولنا فيها اصدقاء محمد علي عوض والسيد عبد الكريم العطار وسيف البقال والاسكلة محاطة بالمدافع الجيدة والقلاع ويبلغ سكان عدن اربعون الف وهي تحت ايالة الانكليز ثم توجهنا في الوابور الى الحديدة وبعد يومين وليلة وصلنا اليها وهي بلدة صغيرة محيط بها سور وبنائها متوسط وهي ثلاث طبقات وفيها التجار واكثر تجارتها القهوة اعني البن والتنباك والحبوب وشيء من الاقمشة والسكر وما اشبه ذلك والبناء الخارج عن سور البلدة قدر البلدة اربعة مرات الا ان هذا البناء عشش من الخشب والخصف والبعض بالحجارة وحوله نخيل قليل وبعض اشجار من السدر واشهر واحسن ما يكون في مدينة الحديدة من الرجال هو حضرة السيد الفاضل الشراعي باشا وهو ذو كرم وسخاء عظيم خصوصاً مع الضيوف والغرباء بصنع المعروف والاحسان وفيها العلماء وبعض الادباء واهلها مقيمون على اداء الصلوة الخمس في المسجد ولنا فيها صديقاً عزيزاً من التجار ووجهاء البلدة كريم السجايا تمدحه اخلاقه وطبايعه وهو صالح افندي شاذلي وابن عمه المحترم وكاتبه السيد الاجل واجتمعنا في مجلسه بسيد جليل القدر وامين

صندوق الكمرك وبعض الافاضل واجتمعنا بنزيله وكان معرفتنا
معاه من المدينة المنورة صاحب العلم والادب والفضل والكرم
سعادتلو افندم عبدالله بوقي باشا من اعيان زبيد وامرائها ووجدت عادة
عندهم وهي انهم يجتمعون بعد الظهر اربعة اربعة وخمسة خمسة
سواء كل يوم ويأتي كل واحد منهم مداعه اعني بلغة اهل الحجاز
الشيشه وبلغة الشام والترك النارگيله توضع قدامه مع جبنه اعني
دله مملوءة بقشر البن وقلة ماء مملوءة وحزمة عشب يسمونه قات
وهو شبيه بورق الرمان النازه فيمضغ منه كل واحد منهم ويبقيه
في جغده ويشربوا من الماء ومن الجبنة قهوة القشر ويشربوا
التنباك حتى يخلص الجميع فكانه والله اعلم يخدر معاهم قليلاً وفي
الليل كذلك لهم مجلس مثل هذا يستعينوا به على سهر الليل ثم
ينصرف الكل منهم الى مصالحه وهم مشغولين بذلك مكرمون
سواء العظيم والحقير والفقير والصغير فتعجبت من ذلك ثم
فكرت وقلت الحمد لله الذي عافاهم مما ابتلا به كثيراً من عباده
وسألت كم يباع كل يوم من ذلك القات في الحديده فقيل انه
انه يباع وينصرف ما قيمته اربعمائة ريال ولما ان تمت الفرجه
توجهت الى المراوعه بلدة السيد عبد الباري لزيارته فزرتهم وهم
جماعة مكبين على قرائة القرآن وعلى الحديث الشريف وعلى طلب
العلوم يكرمون الضيف ويجاملون الناس باخلاقهم الحسنة ولذا
اعتقدتهم الناس ويتبرك بزيارتهم والبلدة صغيرة بيوتها عشش من

الخشب والخصف وحولها مزروعات قليل من الحب والذره والدخن والسمسم وبعض الخضار ومنها توجهنا الى القطيع مسافة ساعة وزرنا السيد محمد المجابي وهو على نسج المراوعة في جميع ما ذكرنا وقريته صغيرة اكثر بنائها من الحجر والبعض من العشش وحوله مزروعات كما ذكرنا وكلا القريتين معفواً عنها من جهة الدولة ولا احد يتعرض لهم بسوء ومنها ركبنا الى باجل ثمانية ساعات مركز قائمقامية وبنائها عشش ثم ركبنا الى البحيج ستة ساعات ومنها الى عبال اربعة ساعات وهي قهاوي من العشش على الطريق ويجري هنالك دائمًا سيل شاق الارض قدر ثلاث قامات يصب من جبال عظيمة هناك من بعيد ثم الى مجيله وهي قائمقامية حدود تهامه اربعة ساعات كانت المسافة من الحديده اليها ثلاثة ايام وهي ارض سهلة ما فيها شيء من الجبال ومنها سرنا في وادٍ مملوء شجراً وحجارة يخاف الانسان على دابته من الحجارة وعلى نفسه من كثرة الاشجار مقدار ساعتين حتى وصلنا تحت جبل حراز وهو منفلقاً شقين من اسفله حتى يرى كالغار فيمر الانسان من الغار ثم يصعد الى الجبل في طريق غوضه مترين ونحن نرى يميناً وشمالاً الاشجار والاعشاب والاوراد والازهار المرتبة بانوار وشجر الياسمين يتدلا على رؤوسنا من الجانبين ووقت من جانب واحد فكنا نقطف منه زهر الياسمين ونحن سائرون على الدواب وكلها نابتة خلقةً على المطر ولم نزل صاعدين ونحن ننظر في شعوب مزروعة

بنّا وفي اطرافها الموز والفواكه وترى شكل البن على شجره اخضر مثل العناب وعند استوائه يحمر كحب العناب وبعد استوائه يجمعونه ويضعونه في الشمس ويجرشونه بعد الجفاف على رحى ثم يغربلونه ويبيعون البن والقشر ويبقون شيئاً لمشروبهم ويبيعون الباقي لانهم لا يشربون البن بل قشره وبعد اثني عشر ساعة وصلنا سطح الجبل عليه بلدة تسمى مناخه قائمقامية واهلها زيود اهل المذهب الخامس فجلست وقد تعبت وتذكرت الاحباب والاخوان والاهل والجيران فخطر ببالي من قصيدة

اما انا فغريب دارٍ بعد ما ... كانت لي فيها الاحبة والوطن

ما ان تركت اقامتي فيها قلا ... استغفر الله العظيم وهل يظن

لكنها نفس ابت عن عزها ... من ان تقيم بها بعيش ممتهن

فرضيت منها بالرحيل وانما ... من لم يكرم نفسه كرهاً تهن

فبت وبالصباح نزلت من الجبل الى وادٍ مع وادٍ الى الارض مسافة ساعتين ولم نزل ماشيين الى ان انتهينا بمحل يسمى العز على مسافة ست ساعات فجلسنا به حتى انشرحنا فسرنا الى قهوة تسمى المضيق وبتنا فيها وفي الصباح سرنا في شعب وجبال صغيرة حتى وصلنا جبل فصعدنا فيه ثمانية ساعات يسمى الخميس قائمقامية وبعد الاستراحة سرنا على جبل منفرش حتى وصلنا الى سبيل وبركة لسنان باشا المذكور فاسترحنا هناك قليلاً ثم ركبنا وسرنا قليلاً فدخلنا من اول باب سور صنعاء الثاني ومشينا في

محلة اليهود وهم قدر ١٢ الف نسمة وبينهم محل يشرح الصدر متسع فيه عين جارية وبعض بساتين يسمى بئر العزب سكانه ولاة صنعاء وامرائها وحكامها وفيها خستخانة صنعاء ثم دخلنا من الباب الثاني في السور الاول المحيط بصنعاء القديمة ومررنا على جسر موضوع على سيل يشق صنعاء نصفين يدخل من اليمين ويخرج من الشمال ولم نزل سائرين على البغال ساعة وربع حتى وصلنا الى قرب اخرها في سوق الملح المسمى الان الترك فنزلنا هناك وهو متصل بمحل الضابطية ودوائر الحكومة والوالي والعسكرية والمشيرية ويقابلها في جانب السور مسجد عظيم ويليه قلعة من البناء القديم وهي عظيمة جيدة البناء وبينهما ميدان كبير كل يوم بعد العصر تصدح فيه الموسيقات وهناك كوزينات اعني قهاوي تشرح الصدر ثم تمشينا في صنعاء وهي مدينة كبيرة عظيمة متسعة وبناء بيوتها من الحجر الاسود المربع ثلاث طبقات والرابع من الاجر المحروق فترى البيت بنائه في غاية التحكيم وعاداتهم لا يفتحون نوافذ على الشوارع الا القليل والغالب يفتحون النوافذ في حجرة البيت شاهقة البناء خصوصاً محلات الحكومة القديمة والجديدة وفيها جوامع كثيرة بعضها لملوك صنعاء وبعضها للولاة والحكام الذين تولوا صنعاء من الاشراف والعثمانيون والمصريون وفي اوسطها جامع من اعظم البناء منقوش بالذهب مملوء بالمصاحف والكتب القديمة مطرزة بالذهب التي اوقفتها

الملوك والامراء المتقدمين ولكن آه جميع اهلها زيديون اهل
المذهب الخامس حتى ان المؤذن يقول في اذانه بدل حي على
الصلوه يقول حي على خير العمل وهذا اشترطوه على الدولة انهم
لا يغيروا دياناتهم وقت دخول صنعاء وفيهم العلماء والادباء وهم
على فطرة العرب القديمة واكثر اهل البلدة فقراء وفيها اسواق
كثيرة جداً ولكن ترى في دكان التاجر قليلاً من القماش الابيض
وقليلاً من البصمه وقليلاً من اشياء الاقمشة وترى بياعين الحبوب
اذا نظرت الدكان فيه عشرة اكياس من صنف الحبوب وترى
العطارين دكان واحد في الاستانة يملأ سوق العطارين
وفي صنعاء نحو اربعمائة دكان والجانب الثاني دكاكينهم قليل من
القشر وقليل من التنباك وطشت عسل مثل الشهد واناء سمن
والميزان واسواقها نحو ثمانين سوق واما الفواكه فكثيرة جداً
وفي وسطها وفي بعض البيوت منتزهات بساتين وحولها على الدائر
بساتين وخلفها مزارع تسقي من عيون وآبار كثيرة الاثمار
والازهار والرياحين جيدة الهواء عذبة الماء ارضها تنبت الزعفران
لو تجد اهل زراعه اغنياء ولكن ذكرنا سابقاً اهلها فقراء جبناً
قليلين الحركه وفي جانبها من جهة القلعة مسافة ربع ساعة
جبل ممتد على طول صنعاء ويمد الى الجبال يسمى جبل النقمي
وفيه معادن جهة يخرج منها حجر العقيق وجهة يخرج منها
حجر شفاف مربع على كبر الواح الرخام لينا ينشرونه في صنعاء

بمنشار الحديد الواحاً خفيفة مثل الواح القزاز ثم يصقلونه ويسحونه
ويركبونه سيف نوافذ البيوت محل القزاز لانــه لا يرد لهم
لبعد المسافة وصعب الجبال وهو يعطي نوراً مثل القزاز بل فيه
زيادة يعني ان الذي جالس في الغرفة وراء القزاز يتفرج على
الرايح والجاي وينظر جميع ما في الخارج والذي سيف الشارع
يرفع رأسه للقزاز لا يشوف احداً في الغرفة مطلقاً فهذا من
اعجب ما يكون وجهة من الجبل صغير اخضر مثل الفيروز لم
تعرف منفعته والغالب ان هذا الجبل لا يخلو من المعادن بل يبقى
اهل المعرفة هذا ما قدرنا نصفه من صنعاء ومن ملحقاتها وعلى
بعد ساعتين بلاد صغيرة تسمى الروضة فيها جامع عظيم مزخرف
بالنقوش من احسن ما يرى وهي مشتملة ومحاطة بالبساتين من
جميع الفواكه خصوصاً الكرم يوجد فيها كثير ورأيت من الكرم
زبيب قدر زبيب الشامي الكبير لونه اخضر في غاية الصفاء ليس
فيه بزر مطلقاً ورأيت اللوز من الفخر ما يكون لذيذ الطعم كثير
الدهن وكذلك صنعا محاطة بقرى صغيرة فيها الفواكه والزروعات
ومن صنعا تمشي يوم وليلة الى جبل كان سابقاً منتزهاً لاهل
صنعا فيه البرك والحيضان على الطرز القديم والاشجار والاثمار
وانواع المشمومات يسمى جبل كوكبان واهله فقراء الان لكنهم
يطردون الهم بالافراح اهل طارب صغيرهم وكبيرهم وشريفهم ووضيعهم
يدقون العود ويرقصون ويتبادلون في الدق والرقص وتمتد من

صنعا جبال كبار مسيرة ستة ايام بلياليها وبعدها واد تسير فيه
ثلاثة ايام وبيمينك وشمالك جبال وعند منتهاه آخر الوادي تجد
ماء عن يمينك وشمالك من الجبال قرب بعضها من بعض وهناك
سد سيل العرم ولما تخرج من السد تجد على جانب السيل بين
النخل مزروعات الى ما شاء الله يسقى من السيل الذي حاشره
سد العرم في الزمان القديم وعن شمال السيل رسم مدينة وفي
اوسطها آثار قصر سبا ومن آثارها جملة عواميد شاهقة الى السماء
مرتبة على شكل مربع بين كل عامود وآخر اثنى عشر ذراع
يقال ان قصر سبا كان مركبًا على هذه العواميد وهناك آثار
يقولون انها آثار مدينة ارم ذات العماد فاذا جاء المطر والسيول
بعدها يمشون سكان هاتيك الارض في الاراضي التي ذكرناها
يلتقطون بعض الاوقات دنانيرًا قديمة ودنانيرًا من ضرب ملوك
حمير وحجار صغيرة انتيقة يلتقطونها مع غيرها من الحجار ويبيعونها
في صنعا اذا وفدوا ثم تمشي من سبا شرق ستة ايام تخرج من
الجبال الى بلدة متوسطة سكانها كلهم اشراف لا يخالطهم سواهم
وعندهم الخيل الاصايل العربية الصافنات الجياد اذا احتاج احدهم
وجلب منها حصانًا بصعوبة الى صنعا بالرحمة والمشقة يشترونه بما
يقول بفمه وتمشي من الجهة الثانية من سبا غربًا عشرة ايام فتصل
الى حضرموت وسكانها السادة العلوية وعربها الحضارم فيها
نخيل كثيرة السدر والخطمى ولها اسكلة الشحر والمكلا ومنها الى

عدن ويليه اسكلة المخا ويليه اسكلة الحديدة ويليه اسكلة القنفده
ويليه اسكلة اللحية ويليه اسكلة جيزان ويليه اسكلة الليث وهي
الحد الفاصل بين اليمن والحجاز بحراً وبراً وهي تبع مكة المشرفة
وسكان اليمن التابع تحت صنعا الذي يؤخذ منه الويركو ثلاثة
ملايين ونصف وفي صنعا واعالي اليمن الجمال العربي المدهش
بالسمرة مع خفة الدم العربي وبعد الفرجة على ساحات اليمن
سرنا من الليث الى جدة وهي بلدة متوسطة بالحجم شاهقة البنا
عظيمة التجارة ترد اليها الارزاق من الهند والبصره ونجد يمناً
ومن شاماً من مصر والشام والاستانة واوروبا ومنها تفرق على
مكة المكرمة والمدينة المنورة واقطار الحجاز جميعاً وزرنا فيها امنا
حواء رضى الله عنها وهي مدفونة حذا باب مكه خارج السور
ويليها مسافة ربع ساعة منتزه لصاحب السعادة السيد عمر السقاف
بناه على شكل بناء اوروبا وجعل فيه ايوان فيه جانب كبير من
الانتيكات يحاط بجوانبه الاربعة بستان لها من الخارج الاشجار
الغريبة والاوراد والازهار والرياحين النفيسة متعه الله بطول
البقاء ويبقي من لنا عليه محسوبية خاله صاحب الدولة الشهم الهمام
الماجد صاحب العلم والادب السيد محمد السقاف احد رؤساء
سنغافورا جمعنا الله به على اسر الاحوال ثم رجعنا الى البلد وسرنا
فيها شارع كبير من الاول الى الاخر متصل وعلى البحر حوش
امير مكة السابق الشريف عبد المطلب فيه اكشاك من اجمل ما

وفي وسط البلد بيت اصاحب السعادة الافندي عمر نصيف وهو
من احسن ما ينظر اليه في ميدان مجتمع الطرق يسكنه وهو
معدٌّ لمن يرد من الامراء والولاة والمأمورين والفضلاء والاحباب
متعه الله بطول حياته ولنا في جده اصدقاء مثل بيت حبيب الله
التجار وبيت البسام وبيت الفضل وحضرة مبارك الفضل والافندي
صاحب الرفعة طاهر مشاط وبعده توجهنا الى مكة المكرمة بعمرة
للتمتع ونزلنا في بيت حبيب الله وبعد ثلاثة ايام نزلنا ببيت
الشريف العمري مقابل لبيت الشيبي في الصفا قرب الحرم ثم
زرنا سيدنا الشريف دولتلو سيادتلو امير مكة المكرمة عون
الرفيق باشا وبعده زرنا صاحب السعادة والاقبال الشريف ناصر
بن الشريف محسن بن الشريف علي بن المرحوم سيدنا الشريف
غالب امير مكة اسبق واجتمعنا في مجلس القراره برحيمه وابن
عمه الشريف سرور وبالاديب الفاضل المحترم كاتب ذوي غالب
الافندي صاحب الفضيلة وبالعالم الفاضل الشاعر باشكاتب
محكمة مكة الشيخ عوض المحترم وكنا اكثر الليالي نسهر معاً وبعض
الاوقات نتوجه لزيارة سيدنا امير مكة الشريف عون الرفيق
باشا وقد سبق لنا معسوبية عليه في سنة ١٢٩٤ هجرية وذلك اني
ركبت في الوابور الخديوي مع رفيقي الشيخ احمد المشاط صاحب
العزة شيخ التجار بجده على ظهر القمرة واذ علمنا بان سيدنا
الامير المشار اليه ركب في القمرة وبعد ان صار الوابور من

بعد ساعتين ظهرت لنا سحابة صغيرة وفي الحال انتشرت وتدلا منها شبه خرطوم الفيل ولم يمكث الا قليلاً وارتفع فلم نشعر الا والسماء ارعدت وهطل المطر قدام الوابور حتى بلنا وفاتت تلك السحابة الوابور واذ بدولة الشريف المشار اليه خارج علينا من القمرة وكنا حينئذٍ نصنع الشاهي فلما اقبل علينا قمنا لدولته اجلالاً وقابله القبطان بالترحيب ولما جلس قمنا وقبلنا يديه فسئل عن هذا المطر وكيفيته الذي لما دخل القمارة لم يرى قطعة سحابة في السماء فاخبروه بالكيفية المتقدمة ذكرها فاخذه العجب من ذلك ونحن قبلنا يده قال لي اتشرب انت الشاهي فقلت نعم وهل يتنازل سيدنا لاقدم له فقال جبراً لخاطري لا بأس وبعد ان شرب صفق على يديه يطلب احد الخدمة لاحضار طاقم الشاهي بين يديه وقال حيث انك تحب الشاهي وانا مغرم به ايضاً فانت الذي تصنعه لي والطاقم مشتملاً على سماور كالذهب الوهاج وبرادين مع اناء السكر واناء الحليب والتبسي كالفضة الخالصة واثنا عشر فنجاناً من السكسوني المال الشفاف فكنت والمشاط نتسامر مع دولته والشاهي يدور بيننا وكان دولة سيدنا يحب السهر والمشاط يهوى النوم اول الليل ولم نزل في لذة وانشراح صدر مع دولته حتى وصلنا السويس فنزل سيدنا والمشاط قاصدين مصر والفقير ذهب مع بن المشاط وخدمة سيدنا ومهماته في الوابور الى بورسعيد ومنها الى الاسكندرية فنزلنا في دار سعادتلو سعدالله بك حلابه

وبعد ثلاثة ايام واذ بدولة سيدنا والمشاط حضروا في دار سعادتلو سعدالله بك حلابه ثم توجه سيدنا والمشاط الى الاستانة وانا قضيت شغلي في الاسكندرية ورجعت الى المدينة وبعد سنوات في تاريخ الف وثلثمائة هجرية بشرتنا الانباء بتوليه دولة الامارة الجليلة وبعد مضي سنوات ووقت اشتاق الى زيارة جده عليه الصلاة والسلام فسار قاصداً المدينة وعند وصوله اليها قابلناه وقبلنا يديه وبعد استراحته لم نزل نتردد عليه حتى برح المدينة المنوره الى مقر امارته مكة المشرفة وقد طهر الله البيت الحرام ومكة المشرفة من جميع الخبائث ودخل بهناء وسرور والحمد لله رب العالمين ولما قسم لنا التوجه اليها وتشرفنا بلثم اياديه رأينا من دولته اطال الله بقاه التفاتاً تاماً حتى انه كان يؤمرنا دائماً ان نحضر مجلسه الخاص وفي احد الايام تشرفنا بمعيته الى بستانه الذي في جرول المذكور سابقاً في اول الرحلة فلما اقبلنا على البستان قابلنا النسيم بروائح الورد والياسمين وروائح الاشجار الذكية والزهورات والاعشاب النقية حتى دخل بباب البستان وقد وجدنا فيه بركة طولها كعرضها يقرب من ثلاثين متراً وعمقها يزيد عن خمسة امتار وكشكاً للنزهة متعه الله بالعز الدائم وطول البقاء وبحياة عطوفتلو الشريف عبد العزيز ومتعنا الله بالبقاء تحت ظله الظليل والحمد لله رب العالمين آمين ثم استاذنا من سيدنا بعد الاقامة في مكة المكرمة ثلاثة اشهر فتكرم واعطانا الاذن

وودعنا من لنا عليه محسوبية ومن يحبنا ونحبه ثم ودعنا الكعبة الغراء والحرم الشريف اما بعد فيقول لسان قصوري اني بذلت جهدي في جمع هذه الرحلة الحجازية في تصحيح الفاظها بقدر الاستطاعة مع ما عندي من خمود القريحة وقلة البضاعة فاسئل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع ان ينظر الواقف عليها بعين الكمال ويغض الطرف عما عسا ان يراه من الزلل والاختلال مما يقع لامثالنا من الهفوات والوقوع في الزلات والغفلات فقلما يخلص قوي الباع ان صنف او ألف فما بالك بغيره اذ قد استهدف فرحم الله أمرءًا ستر الخلل ودعا بالتوفيق لصالح القول والعمل وهو المسئول سبحانه تعالى الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد اشرف الكائنات المبعوث الى سائر الخلق بالآيات البينات وعلى آله وصحبه اولي المكارم والمكرمات وعلى ازواجه وانصاره واهل بيته وذريته وعلى انبياء الله ورسله اجمعين وعلى اولياء الله والعلماء العاملين واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين

تقريظ صاحب السعادة محمود ولي الدين بك يكن

احد اعضاء مجلس المعارف بالاستانة

دار بها من حلال الحي اثار　　سقى معاهدك الرسمي يا دار

في الظاعنين لنا كبد معلقة ... تكاد توقد في اجنابها النار
قل للشهابي عني كلما انبعثت ... افكاره لا تسرت عنك افكار
تختار من درر الالفاظ احسنها ... والدر احسن ما انت تختار
طفت البلاد بجد غير مرتحل ... تشدو بمدحك امصار واقطار
اراك في الارض سيارا الى شرف ... كما رفيقك في الافاق سيار

تقريظ عزتلو جميل بك المعظم

اليك سفرا حوى وصف البلاد واخـ ... ـبار العباد صحيح العين والاثر
اخبار صدق رواها فاضل فطن ... شهم همام سليم الطبع والنظر
فهاك الطف تاريخ ابان به ... حال الفريقين من بدو ومن حضر
فاعضض عليه بحرص بالتواجذ و ... استجلي به سمرا ناهيك من سمر
واجزى الذي لك اهداه بصالحة ... من الثناء الجميل الطيب العطر
هو الشهابي شهاب الفضل كوكبه ... من انجلى في سماء المجد كالقمر
لا زال ينشر في طي الصحائف ما ... قد انطوى فيه من فضل ومن غرر

تقريظ رفعتلو عبد العزيز افندي الحسيني الجزائرلي

حمدا لمن احسن كل شيء خلقه ثم هدى وصلوة وسلاما على سيدنا محمد وآله واصحابه مصابيح الهدى اما بعد فاني سرحت طرف الطرف في رياض هذه الرحلة الانيقة المسماة بالرحلة الحجازية المنتظمة اوصاف اقطار الحجاز وفضائله ونجد وطيب هواه ومسافة مراحله واليمن وسائر وصفه الحسن ومصر وعجائبها وبديع غرائبها والشام وبهجتها ولطيف لهجتها والروم

وزخرفها ومستغرب تحفها والاندلس وآثارها ومندرس فخارها والجزائر وفضائها المتواتر من املاء الاديب والشهم الاريب رفعتلو محمد افندي ابن سليم الشهابي المخزومي نسباً والمدني اقامة فالفيتها قرة لكل عين منزهة عن كل مين تستخرج خبايا الجيوب . وترتاح اليها سائر القلوب . رحلة ترحل القلوب اليها كم ترى عيناً تحوم عليها . تزدهي عجباً بلفظ وجيز . معجز قد زهى لعيني لديها تحفة اهديت لكل اديب يا لها تحفة يشار اليها ان تشأ نزهة في كل اوان فالتمس نسخة واقبل عليها

حينما شرعنا بطبع الرحلة الحجازية وجدنا الاديب نقولا افندي سابا الانطاكي صاحب جريدة التاريخ اليومي التي تطبع بالاسكندرية فوجدناها جريدة مخلصة للدولة داعية لجلالة السلطان امير المؤمنين السلطان عبد الحميد ولوزرائه ورجال دولته فشكرناه على ذلك فنتمنى له النجاح والمكافأة من الدولة ورجالها . وقد سمعناه يمدح ويثني على سلطان زنجبار حموده بن محمد بن سعيد